# وثـــائق

# الوثيقة رقم /1/

## مقابلة روبير فوريسون مع مجلة ستوريا إيلليستراتا

**آب 1979 ــ العدد 261 (*)**

**أجراها أنطونيو بيتاميتز**

*س. ا: السيد فوريسون، منذ بعض الوقت وأنت تجد نفسك في فرنسا، ليس في فرنسا فقط، وسط جدل حاد على إثر بعض الأشياء التي أكّدتها في الموضوع الذي ما زال يُعتبر إحدى الصفحات الأكثر ظُلمة في تاريخ الحرب العالمية الثانية. إننا نتحدث عن إبادة اليهود من قبل النازيين. وإحدى تأكيداتك تبدو، بشكل خاص، قاطعة بقدر ما هي غير قابلة للتصديق. فهل حقاً تُنكر أن غرف الغاز وجدت إطلاقاً؟*

**ر. ف:** صحيح. فأنا أقول، فعلاً، أنّ «غرف الغاز» الشهيرة هذه، القاتلة للبشر، ليست إلاّ أكذوبة حربية. وهذا الاختلاق للدعاية الحربية شبيه بأساطير الحرب العالمية الأولى التي انتشرت على حساب «البربرية التوتونية». فقد كان الألمان يتهمون بارتكاب جرائم خيالية تماماً: أطفال بلجيكيون بأيدٍ مُقطّعة، كنديون مصلوبون، جثث حُوِّلَت إلى صابون[1] ... ولم يكن الألمان مدينون في ذلك بدون شك للفرنسيين.

إن معسكرات الاعتقال الألمانية وُجدت في الحقيقة، لكن الجميع يعرف جيداً أن الأمر لم يكن ابتكاراً ألمانياً. وأفران حرق

(*) أعاد المؤلف النظر بنص هذه المقابلة، وصحّحها، وكتب شروحاً لها للطبعة الحالية. أما الحواشي فوضِعَت في نهاية نص المقابلة.

الجثث، هي أيضاً، وُجِدَت في بعض هذه المعسكرات، لكن إحراق الجثث ليس أكثر خطورة أو إجراماً من دفنها. بل إن أفران حرق الجثث كانت تشكل تقدماً من وجهة نظر صحيَّة، حيث كانت هناك أخطار من انتشار الأوبئة. لقد اجتاح التيفوس كافة أنحاء أوروبا أثناء الحرب. وأغلبية الجثث التي أُظْهِرَت لنا صورها بلطف، هي بشكل جلي جثث مصابين بالتيفوس. وتُبيِّن هذه الصور واقع أن معتقلين ــ وأحياناً حراساً أيضاً ــ ماتوا من التيفوس. لكنها لا تبرهن على أي شيء آخر. إن التركيز على واقع أن الألمان كانوا يستعملون أحياناً أفراناً لحرق الجثث ليس في غاية النزاهة. فبهذا التركيز، يتم التعويل على اشمئزازا الناس المعتادين على الدفن، لا على الإحراق، وعلى قلقهم الخفيّ منه. تخيّلوا شعباً أوقيانوسياً معتاداً على حرق موتاه، وقولوا له إننا ندفن موتانا. إنكم ستُظهرون له نوعاً من الوحشية. وسيشكُّون ربما في أنكم تضعون تحت الأرض أشخاصاً أحياءً تقريباً».

وحين يُقدِّمون إلينا، بالطريقة نفسها، غرف التعقيم المهيَّأة، في الحقيقة، لتطهير الألبسة بالغاز على أنها «غرف غاز» لقتل البشر، فإنهم يبدون عدم نزاهة تامة. لقد جرى التخلي عن هذا الاتهام الذي لم يُصَغْ أبداً بوضوح، لكن البعض، في عدد من المتاحف أو في بعض الكتب، ما زال يجرؤ على أن يُظهر لنا صورة إحدى غرف التعقيم هذه، الواقعة في داشو، وأمامها جندي بزي أمريكي وهو بصدد قراءة... أوقات القيام بعمليات القتل بالغاز![2].

كما وُجِد في الحقيقة شكل آخر لنفث الغاز في المعسكرات الألمانية: انها العمليات التي جرت في الأبنية من أجل اجتثاث الحشرات الطفيلية منها. وكان يُستعمل حينئذ غاز زيكلون ب الشهير الذي بُنيت حوله هذه الأسطورة المدهشة. وما زال الزيكلون ب، الذي تعود إجازته إلى عام 1922[3] يُستعمل اليوم، وخاصة من أجل تعقيم الأبنية، والمخيمات، والصوامع، والبواخر، وكذلك من أجل تدمير جحور الثعالب، والحيوانات الضارة بكل أنواعها[4].

ومن الخطير جداً استعمال هذا الغاز الذي يُقصد به، كما يدلُّ على ذلك الحرف «B»، البلوسور (Blausaüre)، أي الحمض الأزرق، أو حمض السيانيدر، الذي يُسمَّى أيضاً الحمض البروسي. ولنقل مروراً، أنه تنبغي الإشارة إلى أن السوفييت، الذين أخطؤوا في فهم معنى هذا الحرف، اتهموا الألمان بأنهم قتلوا منفيين بزيكلون «أ» وبزيكلون «ب»[5]!

ولكن لنعُد إلى «غرف الغاز» المزعومة، القاتلة للبشر. لقد آمنت، حتى عام 1960، بحقيقة هذه المسالخ البشرية، التي كان الألمان قد قتلوا فيها، وفقاً لطرق اصطناعية، معتقلين بكميات صناعية. ثم علمتُ أن بعض المؤلِّفين حكموا على حقيقة «غرف الغاز» هذه بأنها قابلة للنقاش: ومن بينهم، بول راسينييه، الذي كان نُفِي إلى بوشنوالد ودورا. وقد انتهى هؤلاء المؤلّفون لأن يشكلوا فريقاً من المؤرِّخين الذين يصفون أنفسهم «بدعاة مراجعة التاريخ». درست حججهم، كما درست أيضاً، بالتأكيد، حجج المؤرِّخين الرسميين، الذين يؤمنون بحقيقة الإبادات في غرف الغاز، ويُسمُّون، إذا أردنا، «بالقائلين بالإبادة»[6]. وطوال سنوات مديدة قارنت بدقة بين حجج هؤلاء وأولئك. وذهبت إلى أوشويتز، ماجدانك، وستروتهوف، وبحثت، ولكن عبثاً، عن شخص واحد قادر على أن يقول لي: «كنت معتقلاً في معسكر كذا، وشاهدت فيه بعينيّ بناءً من المؤكد أنه كان غرفة غاز». كما قرأت كثيراً من الكتب والوثائق. ودرست، على مدى سنوات، أرشيفات مركز التوثيق اليهودي المعاصر بباريس. ومن المُسلَّم به أنني كنت مهتماً بشكل خاص بالمحاكمات المُسمَّاة بمحاكمات «جرائم الحرب». وأوليت انتباهاً خاصاً جداً إلى ما قُدِّم لي على أنه «اعترافات» من جانب أفراد من فرق الحماية، أو من أي ألماني. ولن أُعدِّد لكم هنا أسماء كل الاختصاصيين الذين استشرتهم. من جهة أخرى، كان هناك شيء غريب: فقد كان يكفي غالباً بضع دقائق من المحادثة لكي يُعلن لي الاختصاصيون المعنيون: «أنت تعلم، أني لست مختصاً بغرف

الغاز». كما كان هناك شيء أكثر غرابة، وهو أنه لا يوجد إلى هذا اليوم أي كتاب، أو أي مقال صدر عن المدرسة «القائلة بالإبادة» حول «غرف الغاز». أعلم أنه ربما يكون من الممكن أن يذكروا لي بعض العناوين، لكن هذه العناوين خادعة[7]. وفي الحقيقة، فإنه لا يوجد ــ في الجبل المدهش من الكتابات المخصصة للمعسكرات الألمانية ــ أي شيء حول ما يخلق أصالتها الذاتية الضالة! كما أن أياً «مِنَ القائلين بالإبادة» لم يكتب عن «غرف الغاز». وزيادة على ذلك فإن من الممكن القول بأن جورج ويللرز، من مركز التوثيق اليهودي المعاصر، حاول الحديث عنها محاولاً الدفاع عن الطابع الحقيقي جزئياً لوثيقة جيرشتاين بشأن «غرفة الغاز» في بيلزيك[8].

وبالمقابل، فإنَّ دعاة المراجعة كتبوا بشكل مقبول عن «غرف الغاز» هذه، ليقولوا أن وجودها مشكوك به، أو ليؤكدوا أنها كانت ــ بصراحة ــ مستحيلة. ورأيي الشخصي يلتحق برأي هؤلاء الأخيرين. إنّ وجود «غرف الغاز» مستحيل **جذرياً**. وأسبابي هي أولاً الأسباب التي راكمها دعاة المراجعة في مطبوعاتهم. وهي ثانياً الأسباب التي وجدتها بنفسي، والتي أصفها بالمادية، المادية بدناءة وبحماقة.

فكرت أنه كان يجب البدء بالبداية. تَعْلَم أننا اعتدنا، عموماً، منذ أمد طويل، على أن يتراءى لنا أنه قد ينبغي علينا البدء بالبداية. فقلت لنفسي أننا كُنَّا جميعاً نتكلم عن «غرف غاز» كما لو كنا نعلم بوضوح معنى هذه الكلمات. فمن بين كل أولئك الذين يتلفظون بجمل، وخطب، وأحكام تظهر فيها عبارة «غرف الغاز» هذه، كم من الناس يعلمون عن ماذا يتكلمون؟ لاحظت سريعاً أن كثيراً من الأشخاص كانوا يرتكبون خطأً يُعَدُّ من أكثر الأخطاء فحشاً. فهؤلاء الأشخاص كانوا يتصورون «غرفة الغاز» كحقيقة قريبة جداً بالأساس من غرفة نوم بسيطة يمرّ من تحت بابها غاز منزلي. وكان هؤلاء الأشخاص ينسون أن القتل بالغاز يختلف بعمق، من حيث تعريفه، عن الاختناق البسيط بالغاز الانتحاري أو الطارئ الناجم عن حادث. في حالة القتل بالغاز، يجب أن تُستبعد بعناية أية

مجازفة بحدوث قلق أو تسمُّم أو موت لمن يُنفذ عملية القتل أو لمن يحيط به. وهذه المجازفة ينبغي استبعادها قبل عملية القتل، وأثناءها، وبعدها. إن الصعوبات التقنية التي يتضمنها هذا الأمر هامة. فأردت معرفة كيف كان يُقتل بالغاز الفيزون الداجن، وكيف كانت جحور الثعالب تُعرَّض للغاز، وكيف تُنفَّذ في الولايات المتحدة عملية القتل بالغاز على محكومٍ بالإعدام. ولاحظت أن حمض السيانيدر كان يُستعمل في الغالبية العظمى من الحالات. إلاّ أن الألمان كانوا بهذا الحمض بالضبط يرشّون معسكراتهم بالغاز، وكان من المفترض أن يقتلوا بهذا الغاز الأفراد أو الجماهير البشرية. لهذا درست هذا الغاز. وأردت معرفة كيفية استعماله في ألمانيا وفي فرنسا. واطلعت على نصوص وزارية تُنظِّم استعمال هذا المُنتَج عالي السُّميّة. وكنت محظوظاً باكتشاف وثائق عن زيلكون ب أو حمض السيانيدر في الأرشيفات الصناعية الألمانية التي جمعها الحلفاء في نورمبرغ.

ثم، أعَدْتُ عن قرب قراءة بعض الشهادات، وبعض الاعترافات، أو بعض أحكام المحاكم الحليفة أو الألمانية المتعلقة بقتل المعتقلين بالزيكلون ب. وهنا تلقيت صدمة. وهذه الصدمة، ستتلقّاها بدورك. أريد أولاً أن أقرأ لك شهادة أو اعتراف رودولف هوس[9]. ثم، سأقول لك بعض نتائج تحقيقي، المادي بدناءة، حول حمض السيانيدر والزيكلون ب (واعلَم أن ر. هوس كان أحد القادة الثلاثة المتعاقبين في أوشويتز. وأن الحلفاء ألقوا القبض على الثلاثة واستجوبوهم. ور. هوس هو الوحيد الذي ترك «اعترافاً» ندين به إلى سجَّانيه البولونيين).

في هذا الاعتراف، كان وصف عملية القتل بالغاز موجزاً ومبهماً بشكل ملحوظ. لكن من الواجب معرفة أن كل أولئك الذين زعموا أنهم شهدوا هذا النوع من العمليات كانوا مبهمين وموجزين بالمقدار نفسه (علاوة على كل أنواع التناقضات في بعض النقاط). فقد كتب ر. هوس: «بعد نصف ساعة من إطلاق الغاز، فُتِح الباب، وبدأ تشغيل جهاز التهوية. وتمّ البدء فوراً باستخراج الجثث». ألفت

انتباهك إلى كلمة «فوراً» («Sofort» باللغة الألمانية). ويضيف ر. هوس بأن الفريق المكلف بالتعامل مع 2000 جثة، واستخراجها من «غرف الغاز»، ونقلها إلى أفران حرق الجثث، كانوا يقومون بهذا العمل وهم «يأكلون ويُدخنون»، أي ــ إذا فهمت جيداً ــ من دون وضع أقنعة غاز. وهذا الوصف يصدم الحسّ السليم البسيط. وهو يتضمن أنه سيكون من الممكن الدخول من دون أية احتياطات في بناءٍ مُشبَع بحمض السيانيدر من أجل التعامل (والأيدي عارية؟) مع ألفي جثة مُشْبَعَة بهذا الحمض، ومن المحتمل أن الغاز القاتل باقٍ فيها[10]. فالغاز يجب أن يبقى بدون شك في الضفائر (التي كانت مقصوصة ــ كما يبدو ــ بعد العملية)، وفي الأغشية المخاطية، وبين الجثث المكدّسة أيضاً. ما هو جهاز التهوية القوي جداً القادر على أن يزيل فوراً كل هذا الغاز المتطاير في الهواء أو المختفي هنا وهناك؟ وحتى لو كان هذا الجهاز موجوداً، فقد كان من اللازم إجراء اختبار على اختفاء حمض السيانيدر لتنبيه الفريق بأن جهاز التهوية قام فعلاً بمهمته، وأن الطريق ــ بالنتيجة ــ أصبح سالكاً. إلاّ أن من الجلي أننا، في وصف هوس، نواجه جهاز تهوية سحري يعمل فوراً، وبحدٍ من الكمال لا يتيح مجالاً لأي خوف، ولأي تحقق.

إنّ ما أوحى به لنا الحسّ السليم البسيط، أكدته لنا بشكل تام الوثائق التقنية[11] المختصة بالزيكلون ب وباستعماله. فمن أجل تعريض معسكر للغاز، كان الألمان مضطرين لاتخاذ عدد كبير من الاحتياطات: فريقٍ حاصل على دبلوم اختصاص بعد فترة تدريب طويل لدى مُصنّع زيكلون ب، أجهزة هامة جداً، وخصوصاً الأقنعة بمصفاة «J» (وهي أقسى أنواع الأقنعة)، إخلاء ما في المعسكرات إلى المناطق المجاورة، إعلانات معلّقة على جدران بلغات عدّة، ومعها رسم لجمجمة، فحص دقيق للمكان من أجل كشف الشقوق وسدّها، سدّ المداخن والمسالك، سحب مفاتيح الأبواب. وكانت علب الزيكلون ب مفتوحة إلى داخل البناء. وحين كان يُفترض في الغاز أن يقتل الحشرات الطفيلية، كانت تبدأ العملية

الأكثر صعوبة: عملية التهوية. وكان الحراس يقفون على بُعْدِ مسافة ما من الأبواب والنوافذ، وظهورهم إلى الهواء، وكان عليهم، من بعيد، منع أي شخص من الاقتراب. أما الفريق، المزود بأقنعة، فكان يدخل إلى البناء، ويفتح النوافذ، ويسدّ المداخن والشقوق. ومنذ أن ينتهي من طابق ما، كان عليه التوجه للخارج، ونزع الأقنعة والتنفس في الهواء الطلق لمدة عشر دقائق، ثم كان عليه وضع الأقنعة من جديد، والانتقال إلى الطابق الآخر. وحين كان هذا العمل ينتهي، كان من اللازم الانتظار **عشرين دقيقة**. وبما أن الزيكلون ب كان، بالفعل، «من الصعب تهويته، نظراً لأنه يلتصق بالأسطُح» فإن التهوية الطبيعية الطويلة جداً فقط يمكنها التغلب على هذا الغاز. تلك كانت على الأقل الحالة بالنسبة للأحجام الكبيرة، كأحجام كوخ بطابق أو دون طابق، لأن الزيكلون ب المُستعمل أحياناً في المُطَهِّرة (بحجم 10 أمتار مكعبة) كان مُهوًى. وفي ختام هذه الساعات العشرين، كان الفريق يعود مع أقنعة، فيغلق الفتحات، ثم يحمل، إن كان الأمر ممكناً، حرارة الأمكنة إلى 15 درجة. وحينذاك كان يخرج. وبعد مضي ساعة، كان يرجع من جديد مع أقنعة دائماً. وكان يتحقق بورقة اختبار (يتغير لونها إلى الأزرق في حال وجود حمض السيانيدر) من أن المكان قابل من جديد للسكن. وهكذا فإن المكان الذي كان يُعرَّض للغاز لم يكن بالإمكان دخوله بدون قناع غاز إلاّ بعد مضي **إحدى وعشرين ساعة على الأقل**. والتشريع الفرنسي[12] المتعلق باستعمال حمض السيانيدر يحدد، فيما يتعلق به، هذا الحد الأدنى **بأربع وعشرين ساعة**.

نرى إذاً أنه في حال غياب جهاز تهوية سحري، قادر فوراً على طرد غاز «من الصعب تهويته، نظراً لأنه يلتصق بالسطوح، فإن المسلخ البشري المسمّى «غرفة الغاز» يصبح غير قابل للدخول إليه طوال يوم كامل تقريباً. فجدرانه، وأرضه، وسقفه احتفظت طوال هذا الوقت بجزئيات غاز مرعب بالنسبة للإنسان. وماذا نقول عن الجثث؟ هذه الجثث لم يكن باستطاعتها

إلاّ أن تتأثر بالغاز على طريقة الوسائد، والفراش، والأغطية، التي تبين لنا الوثائق التقنية نفسها المتعلقة باستعمال الزيكلون ب أنها يجب أن تُنقل إلى الهواء الطلق لكي تُضرَب فيه لمدة ساعة في الطقس الناشف، أو لمدة ساعتين في الطقس الرطب. وبعد ذلك، كانت تُكدَّس فوق بعضها بعضاً، وتُضرب من جديد إذا تغيّرت ورقة الاختبار إلى اللون الأزرق.

وبما أن حمض السيانيدر كان قابلاً للاشتعال والانفجار، فكيف يمكن استعماله على مقربة من فوهة أفران حرق الجثث؟ وكيف يمكن لأحد الدخول إلى «غرفة غاز» وهو يدخن؟

ولن أتكلم عن العدد الغفير من الاستحالات التقنية أو المادية التي نكتشفها، علاوة على ذلك، حين نتوجه إلى المكان عينه في أوشويتز أو في بيركينو، من أجل أن نتفحص فيه مواضع «غرف الغاز» المزعومة، وأبعادها. من جهة أخرى، وكما اكتشف ذلك المتطفل على أرشيفات متحف أوشويتز البولوني، فإن هذه الأمكنة لم تكن، في الحقيقة، إلا «غرفاً باردة» متميزة تماماً في عمارتها، وفي أبعادها. وهكذا فإن «غرفة الغاز» المزعومة في المعسكر رقم 2، ببيركينو، التي لم نعُد نرى إلاّ أنقاضها، كانت، في الحقيقة، «غرفة باردة» مدفونة تحت الأرض (من أجل حمايتها من الحرارة)، بطول 30 متراً، وعرض 7 أمتار (متران لجثة أولى + 3 أمتار في الوسط لحركة العربات + متران لجثة أخرى). أما الباب، والأروقة، والرافعة نحو قاعة حرق الجثث، فكانت كلها ذات أبعاد صغيرة جداً بالنسبة لما كانت قصة هوس[13] تتيح المجال لافتراضه. فبحسب هذا الأخير، كانت «غرفة الغاز» تحتوي عادة 2000 ضحية واقفين، لكنها يمكن أن تحتوي 3000. لنتخيل هذا الأمر: 3000 شخص في 210 أمتار مربعة؟ بعبارة أخرى، ولأخذ مقارنة، 286 شخصاً واقفين في غرفة من 5 أمتار بـ 4 أمتار! فليكفُوا عن أن يقولوا لنا أن الألمان عملوا على نسف «غرف الغاز» وأفران حرق الجثث قبل مغادرتهم بغية إخفاء آثار جرائم

مزعومة. فعندما يريد أحد محو كل أثر لمنشأة متكلفة جداً إلزامياً، فإنه يفككها بدقة من أولها إلى آخرها إلى أن لا يترك منها أية قطعة مقنعة. أما التدمير بمتفجرة فسيكون من قبيل السذاجة. وفي هذه الحالة الأخيرة، سيكفي جرّ الكتل الإسمنتية من أجل اكتشاف مثل هذا الأثر المُتَّهم. لقد قام البولونيون في متحف أوشويتز الحالي بالضبط بتجميع بعض آثار المعسكرات (والمقصود بذلك المجمعات المكوّنة من أفران حرق الجثث، و«غرف الغاز» المزعومة).

إلا أن كل القطع التي أُظهرت للسياح تشهد على وجود أفران حرق الجثث، وتستبعد أي شيء آخر[14]. وإذا كان الألمان قد عملوا على نسف هذه المنشآت بالديناميت، كما يفعل غالباً الجيش وهو ينسحب، فذلك لأن هذه المنشآت لم تكن تحتوي بدقة شيئاً مريباً. أما في ماجدانك، بالمقابل، فقد تركوا منشآت سليمة عُمِّدَت، بعد الحرب، باسم «غرف الغاز».

* * *

في الولايات المتحدة، جرت أول عملية قتل بالغاز في 8 شباط 1924، في سجن كارسون سيتي (بولاية نيڤادا). وبعد ساعتين من عملية التنفيذ، تبين وجود آثار للسّم في الباحة الداخلية للسجن. وأعلن السيد ديكرسون، حاكم السجن، أن الطريقة، فيما يتعلق بالمحكوم عليه، كانت بالتأكيد الأكثر إنسانية من بين الطرق المتبعة حتى الآن. لكنه أضاف أنه سيرفض هذه الطريقة بسبب الخطر الذي تجرُّه على المنفذين[15]. ومؤخراً، في 22 تشرين الأول 1979، تمّ إعدام جيس بيشوب بالغاز في هذا السجن. ويبدو أن الأمريكيين ضبطوا غرف الغاز لديهم ما بين السنوات 1936 ــ 1938. إن هذا النمط من عمليات القتل معقد جداً بشكل إلزامي[16]. ولم يكن الأمريكيون يعدمون بالغاز إلاّ سجيناً واحداً في كل مرة (وحصل أن عدداً من غرف الغاز لديهم كان فيها مقعدان لتنفيذ قتل شقيقين). وكان هذا السجين يُثَبَّت بشكل تام. ويُسمَّم بحمض السيانيدر (في الواقع، كانت كرات صغيرة من سيانور الصوديوم تُسْقط في حوض من حمض الكبريت والماء المقطّر، وتُحْدِث تصاعداً لحمض

السيانيدر). وخلال 40 ثانية تقريباً كان المحكوم عليه ينام، ثم يموت بعد بضع دقائق. وهذا الغاز لا يُحدث ظاهرياً أي ألم. وكما في حالة الزيكلون ب، فإن إخلاء الغاز هو الذي سيطرح المشاكل. فمن غير الممكن هنا القيام بتهوية طبيعية خلال 24 ساعة تقريباً. كما أن حالة المكان لم تكن تسمح بإجراء هذه التهوية من دون الأخطار الأكثر جسامة على الحراس، والمعتقلين في السجن. إذاً كيف ينبغي التصرف بما أن هذا الغاز تصعب تهويته، من جهة أخرى؟ الحل الذي يفرض نفسه هو في تحويل هذا الحمض إلى ملح يتم غسله فيما بعد بكميات كبيرة من الماء. ويستخدم الأمونياك كأساس. وحين يختفي حمض السيانيدر، بشكل تام تقريباً على الأقل، يقوم مُنْتَج مُنَبِّه بإخطار الطبيب ومساعديه الذين يتواجدون في الجانب الآخر من الحاجز الزجاجي. وهذا المنتَج هو الفينولفتاليين، المتوفر في أكواب في نقاط مختلفة من الحجرة، والذي يتحوّل إلى لون أرجواني حين يختفي الحمض منها. وتقوم منظومة أجهزة تهوية بالجهة الشرقية بكنس دخان الأمونياك نحو سلة امتصاص. ويدخل الطبيب ومساعدوه إلى الحجرة مع قناعٍ للغاز. ويلبسون قفازات من المطاط. ويُشَعِّث الطبيب شعر المحكوم عليه ليطرد منه ما يحتمل أن يكون قد بقي فيه من حمض السيانيدر. وبعد ساعة واحدة فقط يكون باستطاعة الحراس الدخول إلى الحجرة. قبل ذلك، يتم غسل الجسد والحجرة. ويُرْمَى الغاز المتبقي عبر مدخنة إلى أعلى السجن. وأحياناً، حين توجد أخطار على الحراس المتواجدين في أبراج المراقبة بالسجن، يتم إنزالهم أثناء كل عملية. أما الضرورات الخاصة بإحكام سدّ غرف الغاز بشكل تام: المُنْخُل، وألواح الزجاج السميكة للغاية من نوع «هركوليت»، ومنظومة خلق الفراغ، والصمامات الزئبقية ..إلخ، فسأتغاضى عنها.

إنّ عملية القتل بالغاز لا يمكن أن تُرتجل. ولو كان الألمان قرروا أن يقتلوا بالغاز ملايين الأفراد، لكان يلزمهم ضبط آلية مدهشة. كان يلزمهم أمر عام، لم نجده مطلقاً، وتعليمات، ودراسات،

وتوصيات، ومخططات لم نرها مطلقاً. وكان يلزمهم اجتماعات خبراء: مهندسون معماريون، كيميائيون، أطباء، مختصون بكل أنواع التقانات. كما كان يلزمهم رصد أموال وتوزيعها، الأمر الذي كان ــ في دولة مثل دولة الرايخ الثالث ــ سيترك آثاراً عديدة (إننا نعلم بالفينغ تقريباً كم كان يكلف معسكر أوشويتز القذر، أو أكاليل الغار التي أوصوا عليها لدى المختصين). كانت تلزمهم أوامر مهمة. ولم يكونوا ليصنعوا من أوشويتز وبيركينو معسكرات، حيث كان فيهما الكثير من ممرات الذهاب والإياب، فكانت الوسيلة الأفضل لتلافي عمليات هروب المعتقلين المتكررة أن يُوشم على ذراعهم رقم تسجيل[17]. ولم يكن يُسمح للعمال المدنيين وللمهندسين المدنيين بالاختلاط بالمعتقلين. ولم يُؤذن للألمان المقيمين في المكان بالذهاب في إجازة، أو باستقبال أفراد من أُسرهم في المعسكر. كما لم يكن يسمح بشكل خاص للمعتقلين المفرج عنهم، بعد انقضاء فترة عقوبتهم، بالعودة ثانية إلى أوطانهم. وهذا الأمر الذي أبقى عليه المؤرخون لفترة طويلة مخفياً كشفه لنا منذ بضع سنوات مقال للويس دوجونغ، مدير المعهد التاريخي في أمستردام[18]. أما النشر الحديث في الولايات المتحدة للصور الجوية[19] لمعسكر أوشويتز فقد وَجَّه، من جهة أخرى، ضربة الرحمة لأسطورة الإبادة هذه: فحتى في عام 1944، في أوج وصول اليهود الهنغاريين، لم تُلاحَظ أية مجزرة بشرية، ولم يكن هناك أي جمهور بالقرب من أفران حرق الجثث (وإنما بوابة مفتوحة، وحديقة مرسومة جيداً)، كما لم يكن هناك أي دخان مريب (وهذا في الوقت الذي كانت فيه مداخن الأفران هذه تنفث، ليل نهار، لهيباً ودخاناً يمكن مشاهدته من كيلو مترات عِدّة).

وسأُنهي بما سأُسمّيه معيار الشهادة الخاطئة فيما يتعلق «بغرف الغاز». فقد لاحظت أن كل هذه الشهادات، مهما كانت مُبهمة أو متباينة حول ما تَبَقّى من أمور فإنها تتفق على الأقل حول

هذه النقطة: أن الفريق المكلّف بسحب الجثث من «غرفة الغاز» كان يدخل إلى البناء إما «فوراً» أو «بعد قليل» من موت الضحايا. وأقول أن هذه النقطة، وحدها، تشكل حجر الأساس في الشهادة الخاطئة، بسبب وجود استحالة مادية كلية في هذا الأمر. وإذا التقيت بشخص يعتقد بحقيقة «غرف الغاز» فاسأله إذاً كيف يمكن، برأيه، إخراج الجثث منها لأخذها إلى الفرن التالي.

*س. ا: كيف يمكنك تأكيد كل هذه الأمور، بعد كل ما قيل وكُتب خلال ثلاثين عاماً؟ بعد كل ما سرده الناجون من المعسكرات، بعد محاكمات مجرمي الحرب، بعد نورمبرغ؟ وعلى أية أدلة، وأية وثائق تقيم تأكيدك؟*

**ر. ف:** كثير من الأخطاء التاريخية بقيت أكثر من ثلاثين عاماً. ما سرده بعض الناجين يشكل شهادات، من بين شهادات أخرى. إن الشهادات ليست أدلة. والشهادات في المحاكم ضد «مجرمي الحرب» يجب أن تُؤخذ بحذرٍ خاص. وإذا لم أكن مخطئاً، فإن أية شهادة، خلال خمسة وثلاثين عاماً، لم تُلاحق لكونها شهادة خاطئة، الأمر الذي يعني إعطاء ضمانة غير مألوفة لأي شخص يرغب بالشهادة حول «جرائم الحرب». وهذا، من جهة أخرى، ما يُفسّر واقع أن المحاكم ثبتت وجود «غرف الغاز» في نقاط من ألمانيا، تمّ في النهاية الاعتراف بأنها لم توجد فيها مطلقاً: في كل الرايخ القديم، على سبيل المثال.

إن الأحكام التي أُعلنت في نورمبرغ ليس لها إلا قيمة نسبية جداً. فالمهزومون حُكِم عليهم من قِبل المنتصرين، من دون أقل إمكانية للاستئناف. والمادتان 19 و21 من النظام القانوني لهذه المحكمة السياسية كانتا تعطيها بوقاحة الحق بالتغاضي عن الأدلة المتينة. وكانتا تجيزان لها اللجوء إلى ما يُقال[20]. وقد استلهمت كل المحاكمات الأخرى «لجرائم الحرب» فيما بعد من النصوص التشريعية لنورمبرغ. وما زالت المحاكم، في ألمانيا،

تعتمد حتى الآن على ما تزعم أنه تمَّ تثبيته في نورمبرغ. وعلى هذا النحو تصرفت، طوال قرون، المحاكم التي قامت بالحكم على المشعوذين والمشعوذات.

لقد وُجِدت، ظاهرياً على الأقل، أدلة وشهادات على عمليات قتل بالغاز في أورانيانبورغ، وبوشنوالد، وداشو، وراڤنسبروك، وموتهاوسن. وأدلى أساتذة، وكهّان، وكاثوليك، ويهود، وشيوعيون بشهادات عن وجود «غرف غاز» في هذه المعسكرات، وعن استعمال الغاز لقتل المعتقلين. ولكي لا نأخذ إلاّ مثالاً واحداً، كتب المونسنيور بيجي، أسقف كليرمون ــ فرّان، أن كُهَّاناً بولونيين كانوا قد مُرِّروا «بغرفة الغاز» في داشو[21]. إلاّ أنه تمَّ الاعتراف اليوم بأن أي شخص لم يقتل أبداً بالغاز في داشو[22]. وهناك ما هو أفضل: فقد اعترف مسؤولو المعسكرات بوجود «غرف غاز» قاتلة للبشر، وبعملها في أمكنة وَجَبَ فيما بعد الاعتراف بأنه لم يكن هناك شيء منها إطلاقاً[23]. فبالنسبة لراڤنسبروك، اعترف قائد المعسكر (سوهرن)، ومساعده (شاوارز هوبر) وطبيب المعسكر (الدكتور تريت) بوجود «غرفة غاز»، ووصفوا، بطريقة مُبهمة، كيفية عملها. وقد تمّ قتلهم، أو أنهم انتحروا. والسيناريو نفسه حصل مع زياريس قائد معسكر موتهاوسن، الذي أدلى هو أيضاً، وهو على فراش الموت، باعترافات منذ 1945[24]. ولا ينبغي الاعتقاد بأن اعترافات المسؤولين في راڤنسبروك انتزعت منهم على يد الروس أو البولونيين. فالأجهزة القضائية الإنجليزية أو الفرنسية هي التي حصلت على هذه الاعترافات. والظرف المُشدِّد للعقوبة هو أنهم كانوا قد حصلوا عليها بعد سنوات عدَّة من انتهاء الحرب. وجرى القيام بما هو ضروري لكي يتعاون رجل مثل شاوارز هوبر، حتى النهاية، وحتى عام 1950، مع المستجوبين، وقضاة التحقيق، وقضاة الحكم.

والأكثر من ذلك أن أي مؤرخ رصين لم يزعم أنه تمَّ قتل بشر بالغاز في أي معسكر بالرايخ القديم. ولم يَعُدْ يُكتفى إلا ببعض المعسكرات الواقعة اليوم في بولونيا. إن 19 آب 1960 يشكل تاريخاً

هاماً في تاريخ أسطورة «غرف الغاز». ففي ذلك اليوم، نشرت مجلة **دي زيت** رسالة عنونتها بـ: «لا قتل بالغاز في داشو»[25]. وبناء على ما جاء في مضمون الرسالة، كان من الواجب، لكي تكون المجلة نزيهة تماماً، أن تعنونها بـ: «لا قتل بالغاز في كل الرايخ القديم» (ألمانيا في حدودها لعام 1937). وهذه الرسالة كانت قد صدرت عن الدكتور مارتان بروزات، الذي أصبح منذ 1972، مديراً لمعهد التاريخ المعاصر في ميونيخ. والدكتور بروزات معاد للنازية مقتنع. وهو يُعَدُّ من بين المؤرخين «القائلين بالإبادة». واعتقد بصحة «دفتر يوميات» ر. هوس، الذي نشره في عام 1958، بعد إجراء تعديلات خطيرة على النص في المقاطع التي كان ر. هوس قد بالغ فيها «كثيراً» من أجل الامتثال، بدون شك، لاقتراحات سجّانيه البولونيين[26]. وباختصار، كان على الدكتور بروزات أن يقرَّ، في 19 آب 1960، بأن القتل بالغاز لم يكن موجوداً في كل الرايخ القديم. ويضيف، في صيغة محرجة، بأنه لم يكن هناك عمليات قتل بالغاز **قبل كل شيء (؟)**[27]، إلاّ في بضع نقاط مختارة من بولونيا، ومنها أوشويتز. وهذا الأمر، انتهى كل المؤرخين الرسميين، بحسب معرفتي، للإقرار به مع الدكتور بروزات. إني آسف لكون الدكتور بروزات اكتفى برسالة. بينما كان البلاغ العلمي يفرض نفسه، وكانت التفسيرات المُفَصّلة تفرض نفسها. كان من الواجب عليه أن يشرح لنا لماذا كانت الأدلة، والشهادات، والاعترافات التي اعتُبِرت حتى الآن غير قابلة للطعن، تفقد فجأة كل قيمة لها. وها قد مضت عشرون سنة، ونحن ننتظر تفسيرات الدكتور بروزات[28]. فهي ستكون ثمينة علينا لتحديد ما إذا كان للأدلة والشهادات والاعترافات التي نمتلكها عن عمليات القتل بالغاز في أوشويتز أو في تريبلينكا قيمة أكثر من الأدلة، والشهادات، والاعترافات التي نمتلكها عن عمليات القتل بالغاز غير الصحيحة في بوشنوالد أو في راڤنسبروك[29]. بانتظار ذلك، من

الغريب للغاية أن تفقد العناصر التي جمعتها بشكل خاص المحاكم الفرنسية، والإنجليزية والأمريكية، فجأة على هذا النحو كل قيمة لها، في حين أن العناصر التي تمتلكها بشكل خاص المحاكم البولونية والسوفييتية تحتفظ بكل قيمتها في الموضوع نفسه.

وفي عام 1968، كان على «غرفة الغاز» في موتهاوسن (بالنمسا)، بدورها، أن تُعلن أنها أسطورية من قِبل مؤرِّخة من «القائلين بالإبادة»، هي: أولغا ورمسر ــ ميغو. انظر، في أطروحتها عن «**نظام الاعتقال النازي**»[30] البند المعنون: «قضية غرف الغاز». لنحتفظ، من جهة أخرى، بهذه الصيغة. فباعتراف «القائلين بالإبادة» أنفسهم هناك «قضية غرف غاز».

وفيما يتعلق بالاعترافات الخاطئة سألت في يومٍ ما المؤرخ جوزيف بيلليغ (الملحق بمركز التوثيق اليهودي المعاصر) كيف كان بإمكانه، من جانبه، تفسيرها. وكان ج. بيلليغ عضواً في الوفد الفرنسي في محاكمة نورمبرغ. وسأُسلِّمك جوابه. كان الأمر يتعلق، برأيه، «بظواهر ذهانية»! من جهتي، لدى تفسير أقترحه لهذه «الظواهر الذهانية» المزعومة، وكذلك «للبلادة الفصامية» لـ: ر. هوس، في اليوم الذي تمّ فيه إيداعها أمام محكمة نورمبرغ: أن ر. هوسّ عُذِّب على يد حُرَّاسه الإنجليز[31]. وقد «استُجْوِبَ بالسوط وبالكحول». وفي المحاكمات المُسمّاة بمحاكمات «داشو»، قام الأمريكيون ــ كما كشفت عن ذلك لجنة تحقيق ــ بتعذيب متهمين ألمان آخرين بشكل فظيع[32]. لكن التعذيب كان في أغلب الأحيان غير مفيد. وطرق التخويف عديدة. وما زال الإنكار الشامل المدهش الذي أُثقل به المتهمون النازيون يحتفظ اليوم بكل قوته تقريباً. فحين «تنفجر اللعنة وسط إجماع ديني جدير بتناولات القربان الكبرى في العصور الوسطى» لا يعود هناك مجال إلاّ للامتثال، وخاصة إذا شارك المحامون في ذلك، وأكدوا أن التنازلات ضرورية. إني أتذكر كراهيتي الخاصة للألمان أثناء الحرب، وفور انتهائها: وهي كراهية متأججة كنت أعتقد أنها نابعة

من ذاتي. ولكن كان عليَّ، مع مرور الزمن، أن أتبيَّن أنه كان قد أُوحي لي بها. لقد كانت الكراهية تأتيني من الإذاعة الإنجليزية، ومن الدعاية الهوليودية، ومن الصحافة الستالينية. وكنت عديم الشفقة على أي ألماني قد يقول لي أنه كان حارساً في معسكرٍ ما، وأنه لم يرَ أياً من المذابح التي كان الجميع يتحدث عنها حينذاك. ولو كنت القاضي الذي يحقق معه لفكرت بأنه كان من واجبي أن «أجعله ينتقل للاعتراف».

إن مأساة هذا النمط من المتهمين الألمان، منذ خمسة وثلاثين عاماً، تشبه مأساة المشعوذين والمشعوذات في العصور الوسطى. لنفكر بالشجاعة المجنونة التي قد تكون لازمة لإحدى المشعوذات المزعومات لكي تجرؤ على أن تقول للمحكمة: «أفضل دليل على أني لم أعقد صلات مع الشيطان، هو بكل بساطة أن الشيطان غير موجود». وفي أغلب الأحيان، لم يكن باستطاعة هؤلاء المشعوذات المزعومات الإيمان **بالوقائع** التي كُنَّ يُؤاخَذْن عليها، لكنهن كُنَّ تشاطرن القضاة الذين يُوَجِّهون الاتهام إليهن **الإيمان** بالشيطان، أو تتظاهرن بذلك. وبالطريقة نفسها، كان دورفيلد، المهندس في أوشويتز، يؤكد في البداية لقضاته أنه لم يكن شخصياً يشك أبداً في وجود «غرف غاز» في معسكره، ثم يلتحق بالاعتقاد السائد في ذلك الحين، ويُعلن أمام المحكمة استنكاره لهذه «الوصمة عار للشعب الألماني»[33]. كانت المشعوذة تخاتل مع قضاتها، كما يخاتل الألمان، الآن في محاكمة دوسلدورف، مع قضاتهم أثناء الحديث عن معسكر ماجدانك. وكانت، على سبيل المثال، تؤكد أن الشيطان كان فعلاً هنا في يوم ما، لكنه كان موجوداً في أعلى التلة، في حين أنها نفسها كانت باقية في أسفلها. أما المتهم الألماني فسعى جاهداً، من جهته، لإثبات أنه لم يكن له علاقة «بغرف الغاز». وأحياناً ذهب إلى حدّ القول بأنه ساعد في دفع أُناس إلى داخل «غرفة الغاز»، أو أنه أُرغم على سكب مُنْتَج عبر فتحة باب السقف، وتهديده بالقتل[34]، إنْ

لم يُطِعْ الأمر. وهكذا أعطى غالباً الانطباع بأنه انحرف. ويفكر المتهِمون: «هاهو شخص يسعى لتخليص نفسه بلباقة. إنهم غير عاديين، هؤلاء الألمان! فهم تقريباً لم يروا شيئاً أبداً، لم يعرفوا شيئاً أبداً». والحقيقة أنهم بالفعل لم يروا، ولم يعرفوا شيئاً مما أُريد لهم أن يقولوا في موضوع القتل بالغاز[35]. وطريقتهم في الانحراف علينا نحن، المتهِمين، واجب مؤاخذتهم عليها، لا عليهم هم الذين سقطوا في شرك منظومة الدفاع الوحيدة التي كنا قد تركناها لهم. والمحامون يتحملون مسؤولية جسيمة في تبني هذه المنظومة. إني أتحدث عن أولئك الذين يعرفون أو الذين يشكون في أننا كنا هنا أمام أكذوبة ضخمة. فيفضلون إما لمصلحتهم الخاصة، أو لمصلحة زبونهم، أن لا يثيروا هذا السؤال. إن محامي إيخمان لم يكن يعتقد بوجود «غرف الغاز». ومع ذلك فقد تجنّب إثارة هذه المسألة[36]، أثناء محاكمة القدس. لكن من غير الممكن أن نؤاخذه على ذلك. لأني أعلم بأن النظام القانوني لهذه المحكمة كان يسمح بعزل المحامي من حق الدفاع عن موكّله إذا وقع حادثٌ يُوصف بعبارة: «يصعب الدفاع عنه»، أو بعبارة قريبة منها. إن إحدى الوصفات القديمة للمحامين، وهي وصفة تستلزمها أحياناً حاجات الدفاع، تكمن في الترافع على أساس ما هو قريب من الحقيقة، وليس على أساس ما هو حقيقي. إن من الصعب جداً أحياناً إدخال ما هو حقيقي في عقول الحكام، لذلك يكتفى بما هو قريب من الحقيقة. وهناك مثال يوضح ذلك جيداً. وقد رواه ألبير نود، محامي لوسيان ليجي، الذي كانت الصحافة كلها قد قدّمته على أنه المرتكب المؤكّد لجريمة فظيعة. فقد تمسّك لوسيان ليجي ببراءته. واختار نود محامياً له. وذهب هذا الأخير للقائه في سجنه. وقال له: «ليجي، لنكن جدّيين! إذا أردتني محامياً لك، فسأترافع على أساس الاعتراف بالجريمة. وعُقِدَت الصفقة، وأنقذ ليجي رأسه. بعد سنوات عِدّة، توصل نود للاقتناع بأن ليجي بريء. فحقد على نفسه بشكل مرعب لأنه أكره

ليجي على القبول بالترافع على أساس الاعتراف بالجريمة. وقاتل بكل قواه من أجل الحصول على إعادة النظر بالمحاكمة [37]. لكنه تأخر كثيراً. ومات ليجي الذي دفع بدون شك، إن كان بريئاً، وحتى انتهاء أيامه ثمن الموقف الشنيع للصحافة، وعمى محاميه.

إنّ المحكمة ليس لها أية صفة لتحديد الحقيقة التاريخية. والمؤرّخون أنفسهم يعانون كثيراً، في أغلب الأحيان، من التمييز بين الصّح والخطأ في نقطة من نقاط التاريخ. أما استقلال القضاة فهو، بشكل قسري، نسبي جداً. فالقضاة يقرؤون صحيفتهم مثل كل الناس. وهم يأخذون معلوماتهم جزئياً من الإذاعة أو التلفزة. والمجلات والكتب تقدم لهم، كما تقدم لنا جميعاً، وثائق وصوراً للفظائع النازية. وإذا لم يكن لديهم تدريب خاص على نقد هذا النوع من الوثائق والصور، فإنهم سيسقطون في الأفخاخ الأكثر فظاظة للدعاية التي تعزفها وسائل الإعلام. ومن جهة أخرى، فإن القضاة يحرصون على العمل على احترام النظام العام، والأخلاق العامة، وبعض قواعد وعادات ومعتقدات الحياة العامة نفسها. وكل هذا ــ إنْ لم يُحسَب اهتمامهم بعدم رؤية أسمائهم تُهان في الصحافة ــ لا يمكن إلاّ أن يقودهم إلى أحكامٍ في ميدان جرائم الحرب، لا يكون المؤرخ، من جهته، مضطراً لأن يرددها لحسابه.

إن العدالة تحكم على نفسها بنفسها. ولم يحدث أن تطلعت مرةً، في مثل هذا النوع من المحاكمات، للقيام بإجراء خِبرة على ما يُسمّى بسلاح الجريمة. فالسكين، والحبل، والمسدس تخضع لفحص خبرة عندما يُشك في أنها استُخدمت كأداةٍ لجريمة. ومع ذلك فإن الأمر يتعلق هنا بمواد ليس فيها شيء من الغموض. أما في حالة غرف الغاز، فليس هناك، خلال خمسة وثلاثين عاماً، أي فحص خبرة. لقد جرى حديث عن خبرة قام بها السوفييت، لكننا نعلم ما هي قيمتها، كما أن نصها بقي، على كل حال، وكما يبدو، سرياً. وطوال عام ونصف، قادت محكمة ألمانية، في محاكمة فرانكفورت، التي جرت

في 1963 ــ 1965، القضية المُسمّاة بقضية حرّاس أوشويتز، من دون الأمر بإجراء أية خبرة على سلاح الجريمة. والأمر نفسه جرى في محاكمة ماجدانك في دوسلدورف، وفوراً بعد انتهاء الحرب، في محاكمة ستروتهوف في فرنسا ، وهذا الغياب للخبرة لا يمكن القبول بعذرٍ له، خصوصاً لأن أي قاضٍ، أو نائبٍ عام، أو محامٍ لم يكن بإمكانه أن يتباهى بمعرفته لخبرة في طبيعة وكيفية عمل هذه المسالخ البشرية غير العادية. إلا أن غرف الغاز هذه في ستروتهوف وماجدانك قُدّمت باعتبارها في حالتها الأصلية: ولهذا كان يكفي تفحص «سلاح الجريمة» في مكان وجوده. أما في أوشويتز، فالأمور كانت أقل وضوحاً: ففي المعسكر الرئيسي، كانوا يَدَعُون السياح يعتقدون بأن غرفة الغاز حقيقية، لكن سلطات المتحف، إذا تمَّ الضغط عليها بالأسئلة، كانت تتراجع وتتحدث، عن إعادة بناء (الأمر الذي لا يُعَدُّ، من جهة أخرى، إلاّ أكذوبة فاضحة، من السهل إثباتها ببعض الوثائق الأرشيفية)، وفي ملحق بيركينو، لا يجري إلاّ إظهار أنقاض «لغرف غاز»، أو ما هو أقل أيضاً ممثلاً بقطع أرض يُفترض أنها كانت مشغولة «بغرف غاز». لكن أعمال الخبرة ممكنة تماماً حتى في هذه الأمكنة. إنّ بعض المؤشرات الهزيلة تكفي أحياناً عالِم الآثار ليعرف طبيعة ومصير مكان غير مسكون منذ قرون عِدَّة. ولكي أعطيك فكرة عن المجاملة المستَخدمة من قِبل المحامين في محاكمة فرانكفورت من أجل متابعة الاتهام مسبقاً، أقول لك أن أحد هؤلاء المحامين جعل الصحافة تأخذ صوراً له وهو يقوم برفع فتحة باب السقف (كذا!) في «غرفة الغاز» المزعومة بالمعسكر الرئيسي في أوشويتز[38]. وبعد عشرة أعوام من المحاكمات سألت هذا المحامي عن الشيء الذي كان سمح له باعتبار أن البناء موضوع السؤال كان «غرفة غاز». فكان جوابه المكتوب أكثر من غامض. وكان مشابهاً للجواب الذي قدمته لي سلطات متحف داشو. وكنت سألتها خطياً عن الوثائق التي استندت إليها لتأكيد أن غرفة معينة من المعسكر كانت

«غرفة غاز» غير منجَزَة. ودُهشت بالفعل لأن باستطاعة شخص ما تقرير أن بناءً غير مُنْجَز كان مهيئاً لأن يصبح، فور إنجازه، شيئاً لم يكن قد شاهده أبداً في حياته. وسأنشر في يوم ما مراسلاتي مع هذه السلطات، وكذلك مع المسؤولين عن اللجنة الدولية لداشو في بروكسل.

سألتني عن الأدلة والوثائق التي أبني عليها تأكيدي بأن «غرف الغاز» لم توجد. وأعتقد أني أجبت بشكل مسهب على هذا السؤال. وأضيف أن قسماً كبيراً من هذه الأدلة والوثائق مأخوذ من.. أدلة ووثائق الاتهام[39]. ويكفي أن تعيد قراءة نصوص الاتهام جيداً لتستشف أن الاتهام يؤدي إلى عكس النتيجة التي كان يسعى إليها. فالنصوص الأساسية هي الاثنين وأربعين طناً لمحكمة نورمبرغ الكبرى، والخمسة عشر طناً للمحاكمات الأمريكية، والتسعة عشر طناً التي نشرتها جامعة أمستردام حتى الآن، ومحاضر محاكمة إيخمان المختصرة، ومحاضر الاستجوابات المختلفة، ومؤلَّفات هيلبرغ، وريتلنجر، وإدلر، ولنجبين، وأولغا ورمسر ميغو، **والموسوعة اليهودية، ومذكرات** كلارسفلد (المهمة جداً بالنسبة لقوائم الذين قيل أنهم قتلوا خطأً بالغاز)، ومنشورات مختلف المعاهد. لقد عملت كثيراً بشكل خاص في مركز التوثيق اليهودي المعاصر بباريس. وطُردت منه في بداية عام 1978، بناء على مبادرة من جورج ويللرز، بشكل خاص، لأنهم علموا ببعض النتائج التي كنت وصلت إليها حول «غرف الغاز» و«الإبادة». إن المركز هو هيئة شبه عامة، ويتلقى مالاً عاماً. ومع ذلك، فقد ادعى لنفسه الحق بطرد أولئك الذين لا يفكرون كما يجب التفكير. وهو يقول ذلك.

*س. ا: ذهبت إلى حد إنكار الإرادة المتعمدة لهتلر بإبادة اليهود. وقلت، مؤخراً أيضاً، أثناء مناظرة في تلفزة سويسرا الإيطالية: «إن هتلر لم يعمل مطلقاً على قتل شخص واحد بصفته يهودياً». ماذا تقصد القول بدقة بهذه الجملة، التي يستنتج منها، من جهة أخرى، أن هتلر قد يكون عمل على قتل يهود؟*

**ر. ف:** قلت بدقة ما يلي: «إن هتلر لم يُعْطِ مطلقاً الأمر بقتل أي كان بسبب عرقه أو دينه ولم يقرّ ذلك». ربما تكون هذه الجملة جارحة للبعض، لكني أعتقدها صحيحة. كان هتلر معادياً لليهود، وعرقياً. ولم تكن نزعته العرقية تمنعه، من جهة أخرى، من تغذية الإعجاب بالعرب وبالهندوس. وكان معادياً للاستعمار. وفي 7 شباط 1945، أعلن للمقربين منه: «إن البيض جلبوا لهذه الشعوب (المستعمَرة) أسوأ ما يمكنهم جلبه لها من مصائب عالمنا: المادية، التعصب، الكحول، والسيفلس. وفيما تبقى من غير ذلك، بقيت هذه الشعوب على حالها، نظراً لأن ما كانت تمتلكه بصفة خاصة كان أسمى مما كان بإمكاننا أن نعطيها إياه [...] والنجاح الوحيد الذي يُسَجَّل في رصيد المستعمرين، هو أنهم أثاروا الكراهية في كل مكان[40]». إنّ هتلر لم يصبح معادياً لليهود إلاّ في وقت متأخر إلى حد ما. وقبل أن يقول ويكرر أن اليهود «هم مُعلِّمو الكذب الكبار[41]»، كان بالأحرى محابياً لهم. وكتب في **كفاحي:** «إن الكلام غير المواتي لهم كان يوحي لي بنفور، كان يصل أحياناً إلى حد الرعب» إني شخصياً أعرف هتلر بشكل رديء، وهو لا يهمني أكثر مما يهمني نابليون بونابرت. وإن كان هو قد هَذَى، فلا أرى لماذا نهذي نحن في الحديث عنه. لنسعى جاهدين للحديث عن هتلر بالدم البارد الذي نستخدمه عموماً في حديثنا عن أمنيوفيس أخناتون. هناك بين هتلر واليهود حرب من المتعذر تسكينها. ومن البديهي أن كل طرف يحيل إلى الآخر مسؤولية هذا النزاع. فقد أعلنت الطائفة اليهودية الدولية، في شخص حاييم وإيزمن، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، وأول رئيس في المستقبل لدولة إسرائيل، الحرب على ألمانيا في 5 أيلول 1939[42]. وقبل ذلك، ومنذ عام 1943، كان عداء الطائفة اليهودية الدولية يتجلّى بتدابير مقاطعة اقتصادية لألمانيا النازية[43]. ومن المسلم به أنها إذا كانت تتصرف على هذا النحو فقد كان ذلك رداً على التدابير التي اتخذها هتلر ضد اليهود الألمان. وقد أدى هذا التشابك الحتمي بين هذا الجانب وذاك إلى حرب

عالمية. كان هتلر يقول: «اليهود والحلفاء يريدون إبادتنا، لكنهم هم الذين سيُبَادون»، أما الحلفاء واليهود فكانوا يقولون: «هتلر والنازيون وحلفاؤهم يريدون إبادتنا، لكنهم هم الذين سيبادون» وكان المعسكران ينتشيان هكذا، طوال الحرب، بإعلان تصريحات حربية وتعصبية. وأصبح العدو حيواناً ينبغي ذبحه. فكّر، بالطريقة نفسها، بكلام **المارسييز**: «ليروي الدم غير الطاهر أخاديدنا!».

إن الحلفاء الذين شنُّوا حرباً لا رحمة فيها على النازيين، والذين يتابعون، بعد خمسة وثلاثين عاماً من انتهاء الحرب، نوعاً من «المطاردة للنازيين» لم يذهبوا أبداً إلى حدّ تقرير: «أن أي نازي ينبغي أن يُقتل لمجرد انتمائه إلى الحزب النازي، سواء كان رجلاً، أو امرأة، أو طفلاً، أو شيخاً». كذلك يمكن أن نقول بأن هتلر، على الرغم من كل ما راكمه ضد اليهود، لم يقرر أبداً: «أن كل يهودي ينبغي أن يُقتل»، أو «أن اليهودي، لمجرد أنه يهودي فقط ينبغي أن يُقتل». من المؤكد أن الألمان، في حال قيامهم بأعمال انتقامية ضد «الأنصار» أو «الإرهابيين»، كانوا يختارون الرهائن الذين ينبغي قتلهم، ومن الأفضل للرهينة أن لا يكون يهودياً أو شيوعياً أو سجيناً من مساجين الحق العام. لكن الأمر كان يتعلق هنا بنتيجة معروفة جيداً للإمساك بالرهائن كما هو مُطبَّق في كل الأمكنة والأزمنة.

لقد عمل هتلر على اعتقال قسم من اليهود الأوروبيين، لكن الاعتقال لا يعني الإبادة. فلم تكن هناك لا «إبادة جماعية» ولا «هولوكوست». وكل معسكر للاعتقال كان رحمة أو رعباً، سواء تعلق الأمر بمعسكر ألماني، أو روسي، أو فرنسي، أو أمريكي، أو ياباني، أو صيني، أو ڤيتنامي، أو كوبي. وهناك درجات في هذه الرحمة أو هذا الرعب، ومن المؤكد أن معسكر الاعتقال يصبح أكثر رعباً في أوقات الحرب، والمجاعة، والأوبئة. لكن أي شيء في الحالة التي تهمّنا هنا لا يسمح لنا بقول أنه كانت هناك معسكرات للإبادة، بمعنى أنها معسكرات يوضع الناس فيها من أجل قتلهم.

يزعم القائلون بالإبادة أن هتلر أعطى الأمر بإبادة اليهود في صيف 1941. لكن أي شخص لم ير مطلقاً هذا الأمر. هناك، بالمقابل، كلام هتلر، أو التدابير التي اتخذتها جيوشه، والتي تتضمن أن مثل هذا الأمر لا يمكن أن يكون قد أُعطي. ففي 24 تموز 1942، قال هتلر، في حلقة ضيقة، وبعد أن ذكّر بأن اليهود أعلنوا الحرب عليه بواسطة حاييم وإيزمن، أنه ــ **بعد الحرب** ــ سيُغلق أمامهم المدن الواحدة تلو الأخرى، وأوضح: «... إن لم ترحل هذه القذارات اليهودية، ولم تهاجر نحو مدغشقر أو نحو أي وطن قومي يهودي آخر[44]». من جهتي، أريد معرفة كيف يمكن التوفيق بين هذا «الكلام الحر» وأمر إبادة سبق أن أُعطي مرة قبل ذلك بعام واحد. كذلك في تموز 1944، على الجبهة الشرقية التي كان الجندي الألماني يخوض فيها معركة شرسة ضد الأنصار (يهوداً كانوا أم غير يهود، روساً أو شيوعيين، أو أوكرانيين ..إلخ) أعطى الجيش الأوامر الأكثر تشدداً لكي لا يشارك أي جندي ألماني في تجاوزات على السكان المدنيين، بمن فيهم اليهود. وإلاّ، فإن المحكمة العسكرية..[45]. كان هتلر يدعو إلى صراع لا يرحم في المعركة، وخصوصاً ضد الأنصار، بمن فيهم النساء والأطفال المختلطين بالأنصار أو المتواطئين ظاهرياً معهم، إن كان هناك لزوم لذلك. ولم يتراجع بالتأكيد (كما لم يتراجع الحلفاء، من جهة أخرى) عن نظام أخذ الرهائن. لكنه لم يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. وفي اليوم الذي قررت فيه وسائل إعلامنا انتهاك بعض المحرّمات، وتخصيص «جرائم حرب» الحلفاء بواحد من ألف من الزمن الذي خصّصته «لجرائم حرب» المهزومين، ظهر هناك اندهاش لدى السُّذَّج. إن «جرائم» هتلر ستأخذ حينئذ نسبها في المنظور التاريخي. إنهم يحدثوننا قليلاً جداً عن دريسد وكاتين. وأقول أن دريسد وكاتين ليستا شيئاً كبيراً بجانب عمليات النفي التي

فرضناها على ملايين الألمان من الأقليات الشرقية. إن الأمر لم يكن يتعلق في الحقيقة بعمليات «نفي».. وإنما «بنقل». وأتساءل عمّا سيكون عليه الحال لو أن أبطال «جرائم الحرب» بكل فئاتهم كانوا البريطانيين الذين سلّموا السوفييت المعتقلين لديهم من الروس [46].

*س. ا: ما هو مفهومك وتعريفك للإبادة الجماعية؟*

**ر. ف:** «الإبادة الجماعية» هي عملية قتل بشر بسبب عرقهم. وهتلر لم يرتكب «إبادة جماعية» أكثر مما فعل ذلك نابليون، وستالين، وتشرشل أو ماو. كما اعتقل روزفلت في معسكرات اعتقال مواطنين أمريكيين من عرق ياباني. إلاّ أن هذا لم يكن «إبادة جماعية».

لقد عامل هتلر المدنيين اليهود بصفتهم ممثلين لأقلية محاربة عدوة. ومن المبتذل للأسف معاملة هذا النوع من المدنيين بصفتهم أُناساً خطرين، أو خطرين افتراضياً. وبحسب المنطق الحربي الجيد، كان على هتلر أن يقوم باعتقال كل اليهود الواقعين تحت سلطته. لكنه كان بعيداً جداً عن فعل ذلك، ليس لأسباب إنسانية بدون شك، وإنما لأسباب ذات طابع عملي. وفي بعض نقاط من أوروبا، جعل أعداءه يحملون شارة مميزة: النجمة اليهودية (بدءاً من أيلول 1941 في ألمانيا، وبدءاً من حزيران 1942 في المنطقة الشمالية من فرنسا). ولم يكن باستطاعة حملة النجمة الانتقال بحرية، وفي أية ساعة. وكانوا مثل سجناء يتحركون بحرية خاضعة لمراقَبة، كان هتلر منشغلاً بالمسألة اليهودية بقدر أقل ربما من انشغاله بضمان أمن الجندي الألماني. والجندي الألماني قد يكون عاجزاً عن التمييز بين اليهود وغير اليهود. وهذه الشارة كانت تسمح له بتحديد هويتهم. فاليهود كانوا موضوع شك نظراً لقدرتهم على ممارسة الاستخبارات (كثير منهم كان يتكلم الألمانية) والتجسس، وتهريب السلاح، والإرهاب، والسوق السوداء. وكان من اللازم تجنب أي اتصال بين اليهودي والجندي الألماني. فعلى سبيل المثال، كان على اليهود الذين

يحملون نجمة عدم الصعود في المترو الباريسي إلاّ إلى العربة الأخيرة من العربات الخمس، أما الجندي الألماني فلم يكن له الحق بالصعود إلى هذه العربة[47]. لست مختصاً بهذه المسائل، ويمكنني أن أخطئ، لكني أعتقد أن هذا النمط من التدابير كانت تمليه أسباب أمنية عسكرية بقدر ما تمليه الرغبة في الإذلال. فحيث كانت هناك تجمعات يهودية قوية من المستحيل مراقبتها حقاً، إلاّ بواسطة شرطة يهودية، كان الألمان يخشون ما الذي جرى، من جهة أخرى، في غيتو فرصوفيا الذي اندلع فيه، فجأة، وفي الخطوط الخلفية للجبهة، تمرُّد، في نيسان 1943. وحينذاك اكتشف الألمان باندهاش أن اليهود كانوا قد صَنَّعُوا 700 معقلاً محصناً. وقد قمعوا هذا التمرُّد، ونقلوا من بقي على قيد الحياة إلى معسكرات عبور، وعمل، واعتقال، وعاش اليهود هناك مأساة. إني أعلم أن البعض يفكر أحياناً بأن أطفالاً بين 6 إلى 15 سنة لا يمكنهم أن يشكلوا خطراً، وأنه كان ينبغي عدم إلزامهم بحمل النجمة. لكننا إذا بقينا ضمن إطار هذا المنطق العسكري، فإن هناك اليوم ما يكفي من القصص والمذكرات التي يحكي فيها يهود لنا بأنهم كانوا، منذ طفولتهم، يقومون بكل أنواع النشاطات غير الشرعية أو بمقاومة الألمان.

يجب النظر عن قرب إلى ما يوجد هناك من حقيقي وما يوجد من أسطوري في التصوُّر الذي تمّ تكوينه عن اليهود الذين تركوا أنفسهم يُذبحون مثل الخراف. هل قاوم غير اليهود كثيراً؟ هل قاوم اليهود قليلاً؟ إنّ ما يزيف جزئياً معطيات المشكلة، هو أن كثيراً من أحكامنا تقوم على فرضية مُسْبَقَة: هي فرضية «الإبادة الجماعية» لليهود. من المسلم به أنه لو كانت هناك رغبة بالقيام «بإبادة جماعية» لكان من المهم فهم مأخذ الجُبن الذي يبدو أن الشباب الإسرائيلي يأخذه على آبائه، ولكن لو لم تكن «الإبادة الجماعية» إلا أسطورة، كما يؤكد ذلك دعاة مراجعة التاريخ، فإن مأخذ الجُبن يصبح بلا أساس.

*س. ا: لو لم يكن هناك لدى هتلر رغبة متعمَّدة بالإبادة الجماعية، فلماذا إذاً وُجِدَت أوشويتز، وتربيلينكا، وبيلزيك، ومعسكرات الإبادة الأخرى؟ لقد وجدت، وكانت حقيقة واقعة. واليهود ليسوا هم فقط الذين أُدخلوا إليها، وماتوا فيها، وإنما أيضاً سياسيون»، وغجر، وسلاف، ومثليّو جنس، أي كل هؤلاء «المختلفين» الذين كانت النزعة العرقية النازية تدينهم. لماذا إذاً جرى تنظيم هذه المعسكرات، ولأية غاية؟*

**ر. ف:** إن أي معسكر لا يمكن أن يوصف بأنه «معسكر إبادة» إلاّ إذا جرت إبادة للبشر فيه. وهذا صحيح جداً، بحسب المصطلحات التي أوجدها المؤرخون الرسميون، والتي تطلق تسمية «معسكرات إبادة» على المعسكرات المزعوم أنها مُزوّدة «بغرفة غاز» واحدة أو بعدة غرف. إلاّ أن هذه المعسكرات لم توجد. ووباء التيفوس المرعب في برغن بلسن لم يُحَوِّل هذا المعسكر (الذي كان في قسم كبير منه بدون أسلاك شائكة) إلى معسكر للإبادة. وهؤلاء الأموات لم تكن وفاتهم وليدة جريمة، إلاّ إذا كانت جريمة عائدة للحرب، ولجنون البشر. والحلفاء يتشاطرون مع الألمان مسؤولية جسيمة في الفوضى المخيفة التي كانت أوروبا، ومدنها، وطرقها، ومعسكرات اللاجئين أو المعتقلين فيها، تتواجد فيها في نهاية الحرب. لقد نشر الحلفاء بكثرة صوراً تُظهر ركام الجثث في برغن بلسن. والإنجليز لم يتوصلوا، مثلما لم يتوصل الألمان قبلهم، لإيقاف هذا الوباء المرعب. فهل سيكون من النزاهة معاملتهم كمجرمين؟

إن معسكرات الاعتقال النازية الأولى صُمِّمَت من أجل اعتقال وإعادة تربية (كذا!) المعارضين السياسيين لهتلر. وعملت الدعاية للترويج لفكرة أن هذه المعسكرات، المفتوحة للعديد من الزيارات، كانت تشكل تقدماً على السجون التي يبقى فيها سجين الحق العام فترة طويلة. واليهود كان يمكن أن يتواجدوا فيها، ولكن بصفتهم كشيوعيين، أو كاشتراكيين ديمقراطيين ..إلخ. أما اليهود بصفتهم تلك فلم يوضعوا في معسكرات الاعتقال إلاّ أثناء الحرب، وخاصة بدءاً من

عام 1942. والذين من بينهم كانوا قد اعتقلوا في عام 1938 كردٍ انتقامي على عملية اعتداء يهودي على فوم رات، كانوا قد حُرِّروا في غالبيتهم بعد شهور عِدَّة. وقبل الحرب، كان هتلر قد سعى، مع شيء من النجاح، لإثارة نزوح لليهود. وكان يتمنى إنشاء وطن قومي يهودي خارج أوروبا. و«مشروع مدغشقر» كان قد صُمِّم ليكون مشروعاً لوطن يهودي خاضع لمسؤولية ألمانية[49]. وكان يقضي أولاً بإقامة أعمال تجفيف للأراضي، ونظام مصرفي ..إلخ. وقد منعت الحرب إنجاز هذا المشروع[50]، الذي يلزمه كثير من السفن. لكنّ ألمانيا الصغيرة ــ انظر خارطة العالَم ــ كانت منخرطة مع اليابان وبعض الحلفاء في صراع مدهش ضد عمالقة. والأمر الرئيسي، بالنسبة لها، كان كسب الحرب. أما الأمر الثانوي فكان إيجاد حلٍ للمشكلة اليهودية، حلّ نهائي، حلّ أخير، حلّ إجمالي، لمشكلة كانت، بطريقة ما، قديمة قِدَم الشعب اليهودي نفسه[51]. وهذا الحل سيكون إجمالاً، بسبب الحرب، «الدفع نحو الشرق» إلى معسكرات. كانت أوشويتز أولاً، وقبل كل شيء، مركزاً صناعياً هاماً جداً في مقاطعة سيليزيا العليا، مؤلَّفاً من ثلاثة معسكرات رئيسية، ونحو أربعين معسكراً فرعياً، موزعة في كل المنطقة. وكانت الأنشطة المنجمية، والصناعية، والزراعية، والبحثية فيها ضخمة: مناجم فحم (بعضها برؤوس أموال فرنسية)، بتروكيماويات، صناعة أسلحة، متفجرات، بنزين ومطاط تركيبيين، تربية ماشية، تربية اسماك ..إلخ. وفي أوشويتز كان يتواجد، على حدٍ سواء، معتقلون، عمال أحرار، محكومون لمدى الحياة، وموقوفون لمدّة محدّدة. وفي معسكر أوشويتز2، أو بيركينو، كان لدينا المشهد المحزن لعديدٍ من الأشخاص غير القادرين على العمل، والمحتجزين منذ مدة طويلةٍ في أماكنهم، ومن بينهم الغجر، الذين يبدو أن الألمان لم يُسندوا إليهم أي عمل، إلاّ بشكل استثنائي. وقد ولد في أوشويتز العديد من الأطفال الغجر[52]. ويبدو أن الغجر الرُحَّل وحدهم هم

الذين اعتقلوا. ولا يبدوا أن الأمر جرى لأسباب عرقية، وإنما لأسباب تتعلق بحياة الترحل و«الجنوح بالقوة». وأُذكِّر أن المقاومين، في فرنسا نفسها، استطاعوا النظر إلى الغجر بعينٍ شريرة، وارتابوا من ممارستهم للتجسس، والاستخبارات، والسوق السوداء[53]. وسيكون مهماً تحديد كم من جماعة غجر استمرت في التنقل عبر أوروبا أثناء الحرب. أما مثليو الجنس، الذين يُشبَّهون بالجانحين، فكانوا مثل كثير من الجانحين الآخرين يسحبون من السجون أو يرسلون مباشرة إلى معسكرات للعمل فيها، وكان التشريع الألماني، مثله مثل كثير من التشريعات الأخرى في ذلك العصر، يقمع الشذوذ الجنسي. وفيما يتعلق بالسلاف، فإن من كان منهم في المعسكرات لم يكن يتواجد فيها أبداً بصفته سلافياً، وإنما بصفته معتقلاً سياسياً أو أسير حرب..إلخ ،وذلك بالصفة نفسها المطبقة على الفرنسيين. وفي أوشويتز كان هناك أيضاً سجناء حرب بريطانيين تمَّ أسرهم في طبرق.

كان الانشغال الأساسي للألمان، بدءاً من 1942، يكمن في تشغيل **كل** هؤلاء المعتقلين (باستثناء غير القادرين على ذلك، والغجر كما يبدو) من أجل كسب الحرب. وفي أوشويتز كانت توجد بالذات دروس تأهيل مهني للشباب من 12 إلى 15 عاماً بهدف جعلهم بَنَّائين، على سبيل المثال[54]. والمسؤولون الألمان عن عمليات نفي الأجانب نحو المعسكرات كانوا يلحُّون للحصول، أكثر ما يمكن، على «قادرين على العمل». وكانت الحكومات الأجنبية تلحُّ من جانبها على عدم فصل العائلات، وعلى التحاق الشيوخ والأطفال بالقوافل. وإذا ما صَدَّقْتُ شهادات، مثل شهادة جـ. ويللرز في كتابه: «**النجمة الصفراء في زمن ڤيشي**» (L' étoile jaune à l'heure de Vichy)[55]، فإن اليهود، والآخرين، لم يكن لديهم شعور بأنهم ينطلقون نحو إبادة ما. وكانوا على حق. فهذه المذبحة لم تكن لحسن الحظ إلاّ أكذوبة حربية. ومن جهة أخرى، فإن من الصعب تصوُّر أن يكون

باستطاعة ألمانيا ــ التي كانت تحتاج بشكل مأساوي للقاطرات، والعربات المقطورة، والفحم، والعاملين المؤهلين، والجنود ــ إقامة هكذا نظام لقوافل موجّهة للمذبحة. وأُذَكِّر بأن هذه القوافل كان لديها، كما يبدو، الأولوية حتى على قوافل العتاد الحربي[56]. فاليد العاملة، وخصوصاً المؤَهَّلة، كانت هي ما تشغل الألمان أولاً.

*س. ا: أنت مختص في نقد النصوص، لكنك جعلت من هذه القضية «ميدانك» المفضل في «البحث التاريخي». لماذا؟ ماذا تريد القول عندما تؤكد أنه كانت هناك «مؤامرة صمت» على قضية غرف الغاز وإبادة اليهود؟ لماذا ينبغي أن تكون هناك مؤامرة، ومن جانب مَنْ؟*

**ر. ف:** بالنسبة لي، يهدف نقد النصوص والوثائق إلى إثبات درجة صحة وحقيقة ما نقرأ. ونسعى هنا للتمييز بين ما هو صحيح وخطأ، بين المعنى وعكسه..إلخ وأفترض أن هذا الهم يجب أن يقودني بشكل حتمي تقريباً إلى اكتشاف بعض الأخطاء التاريخية، وبخاصة اكتشاف ما سيظهر، خلال بضع سنوات، لكل مؤرِّخ كخطأ ضخم.

إن مؤامرة الصمت حول مؤلّفات تدعو لمراجعة التاريخ تؤدي إلى أن تكون هذه المؤلَّفات في غالبيتها مؤلفات «تُنْشَر ذاتياً»[57]. أما المؤلِّفون الذين يتوصلون إلى تحطيم جدار الصمت، فيعاملون كنازيين، الأمر الذي يحصرهم في داخل غيتو. وتتراوح الطرق المستَعملة ضد المؤرخين أو الأفراد غير الممتثلين من التجريم البحت إلى الملاحقات القضائية مروراً بالطرق البوليسية الدنيئة. وتعمل أنواع مختلفة من مجموعات الضغط على إشاعة جوٍ من الرعب أو تحاول القيام بذلك. لقد عرفت شيئاً من هذا القبيل. فلم يَعُدْ باستطاعتي التدريس في الجامعة، وحياتي أصبحت صعبة، واصطدمت بمصالح ضخمة. إنّ شباناً يدعمونني. والضوء سيظهر. وهناك يهود إلى جانبي. وهم يريدون، أيضاً، التنديد بالكذب وبالاضطهاد.

إني أؤمن بالدسائس أقل مما أؤمن بقوة النزعة الامتثالية. والمنتصرون في الحرب الأخيرة كانوا بحاجة لأن يجعلونا نؤمن بالخزي الذاتي للمهزوم. وهنا وجد السوفييت والغربيون، الذين كان كل شيء يفصلهم عن بعض، ميداناً طيباً للاتفاق. لقد ضمَّت هوليود وآلة الدعاية الستالينية جهودهما إلى بعضهما بعضاً. يالها من قرقعة دعائية! وربما كان المستفيدان الرئيسيان من العملية دولة إسرائيل والصهيونية العالمية. أما الضحيتان الرئيسيتان فكانا الشعب الألماني ــ ولكن ليس قادته ــ والشعب الفلسطيني بأسره. لكن هناك اليوم اختلافاً في الجو. فالصهاينة والبولونيون يُقدِّمون لنا روايات مختلفة جداً عن أوشويتز.

*س. ا: أنت ترفض قسماً كبيراً جداً من المناهج التي طبّقها المؤرخون «الرسميون» على هذا البحث التاريخي. وهذا الفصل من تاريخ القرن العشرين لم يُكتب كما يجب. لماذا، ولماذا فعلوا ذلك؟*

**ر. ف:** المؤرخون الرسميون تخلّوا عن واجباتهم. ولم يراعوا في هذه القضية المناهج الروتينية للنقد التاريخي. واتبعوا التيار العام، التيار الذي تفرضه وسائل الإعلام. وتركوا أنفسهم للنظام ليمتصَّهم. ومؤرخ رسمي مثل أستاذ الجامعة، هلموت ديوالد، واجه إزعاجات مرعبة لأنه جازف ببساطة بقول جملة جاء فيها أن «الإبادة الجماعية» قضية ما زال الجانب الأساسي فيها «لم يُوَضّح بعد جيداً»، على الرغم من الأدب الغزير الذي كرِّس لها. وتحت ضغط المنظمات اليهودية الألمانية، أُعيدت صياغة الطبعة الثانية من كتابه «**تاريخ الألمان**» و«حُسِّنت» (كذا!) حيث كان يجب القيام بذلك.

إن شجاعة بول راسينييه تبدو بدقة في كونه طبَّق المناهج الروتينية للنقد التاريخي. فقد قال للمتهمين، بشكل ما: «بيِّنوا لي أدلتكم»، «هل وثيقتكم تقدِّم ضمانات على صحتها؟»، «هل أنتم متأكدون أن هذه العبارة، وأن هذه الجملة، لها فعلاً المعنى الذي تريدون أن تعزوه لها؟»، «من أين أتت أرقامكم؟»، «كيف كان ممكناً وضع هذه الإحصائية؟»، «من أين أتى تفسير هذه الصورة؟»،

من يقول لي أن هذه المرأة العجوز، وهذا الطفل اللذين أراهما في الصورة هما «في الطريق إلى غرفة غاز؟»، «وهل هذه الكومة من الأحذية تعني أنه تمَّ قتل ناس بالغاز في هذا المعسكر أم أن كثيراً من المعتقلين في هذا المعسكر كانوا يستخدمون بدقة في صنع الأحذية؟»، و«أين هي مخطوطة هذه الشهادة غير العادية التي ينبغي أن لا يكون لها إلاّ شكلاً واحداً، بينما أراها تنشر بالأشكال الأكثر تناقضاً، حتى من قِبل المؤرِّخ نفسه؟» ..إلخ.

لقد أعطى بول راسينييه، أستاذ التاريخ والجغرافيا المتواضع، درساً رائعاً في البصيرة والنزاهة إلى زملائه البارزين في الجامعة. فهذا الرجل، الثوري الحقيقي، والمقاوِم الحقيقي، والمنفي الحقيقي، كان يحب الحقيقة كما يجب أن يحبها: قوية جداً وفوق كل شيء. لقد شَهَّر بما سمّاه «أكذوبة أوليس». وأوليس، كما نعلم، عرف مائة محنة في المنفى. ولكن بعد عودته إلى منزله، حكى عنها ألف حكاية. إننا نعلم أن الرجل كان من الصعب عليه كثيراً عدم حبك الروايات وكان غالباً مُحبَّاً لقصص القنص، والصيد، والحب، والمال، غير العادية. لكنه يتلذَّذ بشكل خاص بحكايات الأعمال الفظيعة.

وكتب الأمريكي أرثور ر. بوتز كتاباً ضخماً عن «**خدعة القرن**» (The Hoax of the XX$^{th}$ Century). وقد أثار هذا الكتاب بلبلة لدى «القائلين بالإبادة». فالبرهان لا يمكن تفاديه. وترجمته أصبحت ممنوعة عملياً في ألمانيا بعد تسجيله في قائمة «المؤلَّفات الخطيرة على الشباب»[58].

ونشر الألماني ويلهلم ستاغليش «**أسطورة أوشويتز**» (Der Auschwitz Mythos). وأعلنت المجموعة السويدية **الاستعلامات اليهودية** (Jewish Information) عن كتاب **الخروج من أوشويتز** (Auschwitz Exit). وكتب يهود آخرون في الاتجاه الداعي للمراجعة التاريخية: ومنهم على سبيل المثال: جـ. جـ. بورج، في ألمانيا. ومؤخراً، قامت مجلة اليسار المتطرف «**الحرب الاجتماعية**» بنشر دراسة بعنوان: «من الاستغلال في المعسكرات إلى استغلال المعسكرات».

وفي إنجلترة، والولايات المتحدة، وألمانيا (في هذا البلد الأخير، كان اضطهاد دعاة المراجعة التاريخية عديم الشفقة)، وأستراليا، وبلجيكا، وإسبانيا، وفرنسا، وفي كل أنحاء العالَم، ارتفعت أصوات للمطالبة بالتخلي أخيراً عن الدعاية الحربية العبثية.

وأعرف كذلك مؤرخين رسميين استيقظوا من الكابوس، لكني لا أستطيع أن أعطي هنا أسماءهم. وربما سيقررون بأنفسهم التخلي عن ملذات ما يسمّيه المؤرخ الداعي للمراجعة داڤيد ايرڤينغ «ارتكاب المحارم بين المؤرخين». وهذا التعبير المُصوَّر يبرز الممارسة التطبيقية التي تكمن في تلذّذ مؤرخٍ في تكرار ما أكّده مؤرخون آخرون في موضوع معين، وفي عدم تجديد الموضوع إلاّ بمزايدات بارعة. يجب حضور ندوة لمؤرخين يتطرقون لموضوع النازية. يالها من وحدة شعور غريبة في احترام المحرّم! وبما أن كل واحد يراقب نفسه، ويشعر أنه مراقب! فالتعاسة لمن قد يشوّش الاحتفال الاستغفاري بالتعبير عن أطروحة غير رسمية! صياح سخرية، ورقابة[59].

*س. ا: هل أنتَ معادٍ للسامية؟ كيف تحكم على النازية؟*

**ر. ف:** لست معادياً للسامية. ويجب تجنب رؤية معادين للسامية في كل مكان. واليهود الذين يُشَهِّرون بخدعة «الإبادة الجماعية» هم مثل الكاثوليك الذين يقولون أن هناك «خدعة فاطمة» (حيث شاهد آلاف الشهود الشمس وهي ترقص). إن الحقيقة، أو البحث عنها، لا يمكن أن تكون معادية للسامية.

كانت النازية في الواقع دكتاتورية فوهرر. وقد ماتت مع فوهررها في 30 نيسان 1945. لقد هُزِمَ عدوي. فلا تعتمد عليَّ للبصق على جثته. إني، بصفتي إنساناً، لا أُقِرُّ أن يُهان الشعب الألماني من خلال إسناد جرائم له، قد تكون لا سابقة لها في تاريخ البشر. كما لا أُقِرُّ بشكل خاص أن «تُعاد تربيته» بحيث يصبح أول من يؤمن بهذه الجرائم، فيُشنِّع على نفسه بنفسه بقدر ما يطلب إليه

قادته فعل ذلك، بل وأكثر. وألاحظ، بصفتي مراقباً، أن إديناور، وبرانت، وشميدت يكرِّرون درس المنتصرين الغربيين، في حين يكرر نظراؤهم في ألمانيا الشرقية درس المنتصرين في الشرق. إنها السياسة الواقعية، كما افترض.

*س. ا: هل تنكر أيضا أن عدد الضحايا، الستة ملايين، قابل للتصديق. ولكن حتى لو كان هناك عدد أقل من الضحايا، فهل سيغير هذا الأمر شيئا ما من واقع وجود إبادة جماعية؟ وهل يهم قليلاً في الواقع عدد الضحايا؟*

**ر. ف:** ستة ملايين إنسان، هم سكان بلد مثل سويسرا. إن أي شخص في محاكمة نورمبرغ لم يكن لديه أقل إمكانية لدعم رقم بمثل هذه الغرابة. وفي 14 كانون الأول 1945 صباحاً كان المدعي العام الأمريكي دود يحاول تأكيد هذا الرقم من خلال قراءة تصريح الشاهد هوتل (Höttl)[60]. وبعد ظهر اليوم نفسه، كان مُكرهاً على التراجع بعد تدخل المحامي كوفمان المُصمِّم على طلب مثول هذا الشاهد ليسأله عن كيفية حساب هذا الرقم. والمصيبة أن الصحافة والمؤرِّخين تمسكوا بالرقم كما لو أن المحكمة نفسها كانت قد صَدَّقته ولو بقدر قليل.

وتقديراتي هي التالية:

1 ــ إنّ عدد اليهود الذين أبادهم النازيون (أو الذين كانوا ضحايا «الإبادة الجماعية») يساوي صفراً.

2 ــ إن عدد الأوروبيين الذين قتلوا بفعل أحداث الحرب (أحداث الحرب الفظيعة غالباً) يمكن أن يكون بحدود الـ 40 مليوناً، وعدد اليهود الأوروبيين، من بينهم، يمكن أن يكون بحدود مليون، لكن عددهم، على الأرجح، يبلغ عدة مئات من الآلاف إذا لم نحسب اليهود المقاتلين في اللباس العسكري للحلفاء. وأُلحّ على واقع أن الأمر يتعلق من جانبي بتقديرٍ لا طابع علمي بحت له. وبالمقابل، لدي أسباب جيدة للتفكير بأن رقم الأموات في أوشويتز (يهوداً وغير يهود) ارتفع إلى نحو

50 ألفاً، وليس إلى أربعة ملايين كما زُعِمَ لمدة طويلة، قبل الاكتفاء الآن بمليون، كما يفعل ذلك معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ. أما عدد الأموات في كل معسكرات الاعتقال من 1933 ــ 1934 إلى 1945، فأفكر أنه يجب أن يكون بحدود 200 ألفاً، أو 360 ألفاً، على الأكثر. وفي يوم ما سأذكر مصادري، لكني أقول اليوم أننا، لو كنا نستعمل الحواسيب، لكان من الممكن بدون شك أن نعرف بسرعة العدد الحقيقي للأموات. فالمنفيون كانوا سُجِّلوا ببطاقات من قبل سلطات عديدة، وتركوا العديد من الآثار.

*س. ا: هل تدرك أن بإمكانك هكذا المساهمة في نوعٍ من «ردّ الاعتبار» للنازية؟*

**ر. ف:** هل نرد الاعتبار إلى نيرون إذا قلنا أننا لا نملك أي دليل على قيامه بحرق روما؟ إنّ الحقيقة هي ما يجب أن نهتم بردِّ الاعتبار إليها، وبتثبيتها، عندما يكون باستطاعتنا ذلك، على الأقل. ليس على المؤرخ أن يهتم بمصالح بطرس أو بولس. والمهم بالنسبة لي هو في تقديم مساهمتي في كتابة تاريخ حقيقي للحرب العالمية الثانية. ولو كان نازي قديم قد أتى ليقول لي أن «غرف الغاز» المزعومة، و«الإبادة الجماعية» المزعومة لليهود تشكل أكذوبة تاريخية واحدة، لكنت وافقته على ذلك، كما لو كان يقول لي أن اثنين + اثنتين = أربعة. ولن يذهب الأمر لما هو أبعد، وسأتركه لأفكاره السياسية.

إنّ النازية الجديدة هي، في جزء كبير منها، ابتكار لوسائل الإعلام، التي تبيعنا كذلك نازية محلات الجنس. إنها مثل «سلسلة أوديسا» (Filiére Odessa) المزعومة أو المستوطنات النازية في أمريكا الجنوبية، أو الظهور الجديد المتكرر باستمرار لهتلر أو لبورمان (Bormann). وهي ستربح مالاً من هذه الابتكارات. وفي ألمانيا، أعتقد أن أولئك الذين يصفهم خصومهم السياسيون «بالنازيين الجدد»، يشكلون 0.7% من الجسم الانتخابي. إننا نعيش في حالة استحضار للأشباح، في نوعٍ من نازية بلا نازيين. وهنا

أُحيل إلى التحليلات الملائمة لجيلبرت كونت، التي ظهرت في **لوموند**، في 29 و30 أيار 1979. وبما أنه ليس هناك من شيء مجاني في هذا العالَم، فإن من المُسلّم به أن هدم هذا الهذيان عمل على ظهور لعبة معقدة بين المصالح، والأهواء، والنزاعات، على مستوى الكرة الأرضية. فدولة إسرائيل لديها مصلحة حيوية في الحفاظ على هذا الاستحضار للأشباح الذي لم يساهم بقدرٍ قليلٍ في إمكانية إنشائها، في عام 1948. كما أن دولة مثل دولتنا بالذات لديها مصلحة في إخفاء حقيقة عدد كبير من النزاعات بفضل الحفاظ على تعبئةٍ لدى كل النفوس ضد العدو الأسوأ، المتمثل بـ: النازية، الحيوان القذر الشهير، الحيوان الذي مات منذ خمسة وثلاثين عاماً، وعلى حسابه من المسموح للجميع إطلاق مكبوتاته. ومن هنا تنشأ الحاجة إلى هذه الاحتفالات الاستغفارية الدائمة، والإدانات ذات الشعلات الأبدية، وهذه الضرورة للانتقام، والعقاب، والتشهير بلا حدود زمانية، أو مكانية، أو شخصية.

*س. ا: ألا تعتقد بأن معالجة قضية الإبادة الجماعية لليهود على هذا النحو ستكون طريقة لإفقاد قيمة الذكرى التي تأسس عليها بشكل رئيسي الاعتقاد الراسخ الشائع بأن معاداة السامية هي الأسوأ من بين كل النزعات العرقية التي طُبّقت خلال القرن العشرين؟ والذكرى التي تفقد قيمتها، لا جدوى فعلا منها.*

**ر. ف:** معاداة السامية ليست أسوأ النزعات العرقية، إلا أن إحدى الطرق الجيدة لجعلنا نؤمن بذلك تكمن بدقة في جعلنا نعتقد بوجود «الإبادة الجماعية» لليهود. لقد ذهب الصهاينة بعيداً جداً. فأولئك الذين كانوا يريدون رفض مبدأ «التعويضات المالية» التي دفعتها ألمانيا باسم «الإبادة الجماعية» بشكل خاص، كان ينبغي أن يُسْتَمع إليهم. وأراد كلٌ من بن غوريون، بالنسبة لدولة إسرائيل، وناحوم غولدمان، بالنسبة لدولة إسرائيل ولليهود المنتشرين في العالَم، جني فائدة مالية ضخمة، للأسف من هذه القضية. وكان أديناور مستعداً لذلك. وأعطى هذا لخدعة «الإبادة الجماعية» مزيداً من الألوان

المزعجة. اقرأ المقابلة الصحفية المذهلة لناحوم غولدمان، التي ظهرت في العدد 624 من مجلة **نوفيل أوبزرڤاتور** (25 ــ 29 تشرين الأول 1976): نادراً ما رأينا رجلاً لديه هذا القدر من الدهشة والسعادة لكونه نجح في القيام بمثل هذه العملية السياسية المالية الساطعة[61].

*س. ا: أثناء جدلك مع كل أولئك الذين يرفضون هذه الأطروحة، أكّدت أيضاً أن قسماً كبيراً مما يعرفه الجمهور ليس إلاّ أسطورة، وأن هذه الأسطورة أصبحت ممكنة بفضل استعمال «غير تمييزي» لوسائل الإعلام. ماذا تريد أن تقول بدقة؟*

**ر. ف:** هذه النقطة خطيرة ومثيرة للاهتمام. ومسؤولية وسائل الإعلام في هذه القضية كلها كبيرة جداً. فطوال خمسة وثلاثين عاماً، وفي القارات الخمس، قُدِّمت لنا هذه الأسطورة الخاصة «بالإبادة الجماعية» و«غرف الغاز» على أنها حقيقية. وهكذا تمَّ خِداع مليارات البشر. إنّ هذا الأمر مُدَوِّخ. ما هو الدرس الذي سيُعطي لأولئك الذين يؤمنون بقيمة معلومة متنوعة ومتناقضة! لقد كانت هناك ضرورة لنضال بطولي لبعض الأفراد، ولبعض العقول غير الامتثالية من أجل تصدُّع في شاشة الحقيقة الرسمية. أستطيع كتابة دراسة طويلة عن الطريقة التي تأخذ بها الصحف الفرنسية والتلفزة الفرنسية من أجل خنق المعلومة. وتساعدها في ذلك المحاكم، والسلطات العامة بمجملها. ويخشى الصحفيون من عدم تأسيس بنك معطيات للمعلومة في وقت قريب. فهذه المعلومة قد تنجم عن فرزٍ ليس لديهم السُبل لمراقبته. لديّ نصيحة أُعطيها لهم. ليعكفوا على دراسة الماضي، وليعكف البعض منهم على دراسة ماضيهم الخاص، إذا أرادوا معرفة كيف يمكن خداعهم. وليشاهدوا كيف تمَّ الحفاظ بعناية خاصة على أجمل كذبة في كل العصور، لكي يعرفوا كيف يمكن الكذب في يومٍ ما. عندما كان لويس الرابع عشر يكذب، لم تكن أكاذيبه تتجاوز بضعة مقاطعات. أما اليوم فالكذبة يمكن أن تأخذ أبعاداً هوليودية حقاً. إن «وثيقة ــ مأساة» كفيلم **الهولوكوست** هي تتويج لصرحٍ. إنها لم تكن معقولة في السنوات

التي تلت الحرب، والتي كانت مع ذلك مليئة بالكراهية. كان من اللازم انقضاء ثلاثين سنة وأكثر من التسميم. فحبة مُخدِّر قوية بقوة **الهولوكوست** لم يكن بالإمكان وصفها إلاّ إلى نفوسٍ سبق أن أُشبعت منذ أمد طويل بحبوب مُخدَّرة أخرى من النوع نفسه، وتُطالب عفوياً بحبوب منها أكثر حِدَّة.

لكن الجرعة الزائدة أنتجت آثاراً صحية من خلال المشهد الذي كَوَّناه عن انحطاطنا. لقد كان من الممكن تسجيل ردود فعل سليمة. وأفكر هنا بشكل خاص بردّ فعلٍ جدير تماماً بالملاحظة «ليهودي حرّ»، هو ميشيل راشيلين، في عدد من مجلة **لوفيغارو ماغازين** (3 آذار 1979).

إنّ عدم وجود «غرف الغاز» و«الإبادة الجماعية» هو خبر جيد. والإنسان، القادر على ارتكاب كل الفظائع، لم يكن قادراً على القيام بتلك الفظائع. وهناك ما هو أفضل: فملايين البشر الذين كانوا يُقدِّمون لنا على أنهم متواطئون في جريمة وحشية، أو جبناء، أو كذَّابون، كانوا صادقين. وسبق أن قلت أن اليهود الذين اتهمهم أبناؤهم بأنهم كانوا يُقادون كالخراف، وأن الألمان كانوا ينقلونهم إلى المسلخ، لم يكونوا يستحقون هذا الاتهام. وأضيف أن المتَّهمين في نورمبرغ، وفي ألف محاكمة أخرى، كانوا يقولون الحقيقة عندما كانوا يؤكدون لقضاتهم المتَّهِمين لهم أنهم لا يعرفون شيئاً عن هذه المذابح الرهيبة. وكان كل من الڤاتيكان والصليب الأحمر يقول الحق عندما يعترف بوقار بهذا الجهل نفسه. والأمريكيون، والإنجليز، والسويسريون، والسويديون، وكل تلك الحكومات أو الشعوب التي أخذ عليها اليهود المتطرفون اليوم أنهم كانوا سلبيين في الوقت الذي كانت فيه المسالخ النازية تعمل، كما يبدو، لم يَعُدْ عليهم التصرف كمذنبين نادمين. والنتيجة الأكثر مدعاة للاحتقار لهذه الخدعة الضخمة كانت وستبقى أيضاً لبعض الوقت، هذا الإحساس بالخطأ الذي خلقه اليهود المتطرفون لدى كثير من الشعوب، وبالخصوص لدى الشعب الألماني. إني لا أريد بشكل خاص إعطاء

الانطباع بأني أسعى للقيام، ولو بقدر قليل، بمدح النازية، وأعتقد أني قادر على تقديم تحليلٍ قاسٍ لهذه النوع من الأيديولوجية. لكني لن أقترح هذا التحليل طالما أن النازية المزيفة التي يرهقنا بها «القائلون بالإبادة» لم يُشَهَّر بها من قِبل مجموع المؤرِّخين الرسميين. فهؤلاء الناس، بمهاجمتهم لنازية لم توجد مطلقاً، يعطون الانطباع بأنهم عاجزون عن مهاجمة حقيقة ما كانت عليه النازية. إنهم يجعلوني أفكر بأولئك الذين يمثّلون الشرّ في شكل شيطانٍ لديه مِشْواة، وأوتاد، وافران. الشر في الحقيقة، نعرفه جيداً، وهو موجود في نظم الحياة التي خلقها الإنسان لنفسه. إن الشر سيكون في صحة جيدة، طالما أن الهجوم يُشنُّ على الأشكال الأسطورية للشر. لقد فقد مجتمعنا بوصلته. ففي وسط القرن العشرين ، أعاد ابتكار الشيطان، وقاتل عدواً وهمياً، بينما لديه ما هو أفضل لفعله. إنّ جهداً تحليلياً يفرض نفسه. لنفتح عيوننا على ما فعلته وسائل الإعلام بنا. لننزع القناع عَمَّا تسعى السلطة لإخفائه، في كل الميادين.

# الحواشي

1 ــ تمَّ الأخذ ثانيةً، ولكن بدون نجاح كبير، بهذه الأسطورة العبثية، أثناء الحديث عن الحرب العالمية الثانية (استشيروا في هذا الصدد عالِم تشريح، كيميائي، وأي مختص). وحسبما يعتقد جيتا سيريني (Gitta Sereny) فإن المسؤولين الألمان عن التحقيق في «الجرائم النازية» «أكدوا» المعلومة القائلة بأن النازيين كان بإمكانهم استعمال أجساد اليهود ليصنعوا منها الصابون أو الأسمدة (وهؤلاء المسؤولون يعملون في لودفيغسبرغ تحت إدارة النائب العام أدالبر روكرل، وهو من القائلين المقتنعين بالإبادة). وقد نقل جيتا سيريني هذه الواقعة في كتابه: «**Into That Darkness**» (لندن ــ André Deutsch ــ 1974)، في الحاشية2 ــ من الصفحة 150 من الترجمة الفرنسية: «**Au Fond des ténèbres**»، باريس ــ Denoël، 1975. وإذا كان من اللازم تصديق بيار جوفروا (P. Joffroy) فإن «قضباناً من الصابون اليهودي» توجد اليوم مدفونة في المقبرة اليهودية بحيفا (إسرائيل). وبالفعل، فإن ب. جوفروا، كان قد ذكر في عام 1956، في مقالة مخصَّصة لآن فرانك، «أن هذه القضبان الأربعة من «الصابون اليهودي» صُنِّعت من جثثٍ في معسكرات الإبادة. وبعد أن عُثِر عليها في ألمانيا، لُفَّت بكفنٍ، في 1948، ودفنت بوقار حسب الطقوس في ركن من مقبرة حيفا (إسرائيل). وقد نُشرت هذه المقالة في مجلة **باري ماتش**، العدد 395، 3 تشرين الثاني 1956، ص: 93.

2 ــ انظر هذه الصورة لجيش الولايات المتحدة التي طافت العالم، والتي أعاد أرتور ر. بوتز نشرها في الصفحة 91 من كتابه: **The Hoax of the Twientieth century** ــ California ــ Torrance ــ The Noontide Press ــ 3 ème édition ــ 1979.

3 ــ «[...] für die Degesch Vom 20 Juni 1922, ab vom Reichspatentamt – Patentiert», ( justiz und NS Verbrechen, Amsterdam, University Press, Tome XIII (1975), P. 137).

4 ــ «غاز ضد الثعالب» (Un gaz contre les renards) **Le Quotidien de** 2 Septembre 1977 - **Paris**, انظر أيضاً مجلة صيد: **Le Saint - Hubert** ــ نيسان 1979 ــ ص: 180 - 181 ــ «Méthodes de réduction de la population vupline».

5 ــ لست قادراً حالياً على البرهنة على ما أقدمه هنا. وقد اكتشفت هذه النقطة في أرشيفات مركز التوثيق اليهودي المعاصر بباريس، الذي مُنِعْتُ من دخوله منذ كانون الثاني 1978، بسبب آرائي في مادة التاريخ.

6 ــ يبدو أن هذا التعبير استُحْدِث من قِبل فريق باحثين سويديين تجمَعوا في تابي (السويد) حول ديتليب فيلديرر ويُحضِّر مؤلَّفاً عن أكذوبة أوشويتز سيصدر بعنوان: «**Auschwitz Exit**».

7 ــ مِنْ بين هذه العناوين الخادعة، يمكن أن نذكر:

- Pierre Serge Choumoff: **Les Chambres à gaz de Mauthausen** (31, boulevard Saint - Germain, Paris $V^0$), 1972, 96 Pages.

8 ــ - Georges Wellers: «**La solution Finale de la question juive** - **et la mythomanie neó - nazie**», Le Monde Juif, $M^0$ 86, avril .Juin 1977, PP. 41 - 48

وعنوان هذا المقال باللغة الإنجليزية، هو:

«Reply to the Neo - Nazi Falsification of Historical Facts concerving the Holocaust».

وهو يشغل الصفحات 105 ــ 162 من مؤلَّف نشرته، في عام 1978، مؤسسة «The Beate Kharsfeld Foundation»، في نيويورك، بعنوان:

«The Holocaust and the Neo-Nazi Mythomania», XVIII - 216 pages.

9 ــ كان لمعسكر أوشويتز، على التوالي، ثلاثة قادة: رودولف هوس، أرتور ليبهنشل، وريتشارد باير. الأول استُجْوِب من قِبل الإنجليز، ثم من قِبل البولونيين الذين قتلوه، والثاني قُتِل على يد البولونيين، والثالث مات فجأة في السجن حينما كان يجري التحضير «لمحاكمة أوشويتز» الشهيرة في فرانكفورت (1963 ــ 1965). ويبدو أن البولونيين،

لوحدهم، قاموا باستجواب 617 شخصاً (من النازيين أو حلفائهم) لهم صلة بمسألة أوشويتز وحكموا عليهم. وقد أعطى هيرمان لنغبين هذا الرقم في الصفحة 993 من كتابه: **Der Auschwitz - Prozess** ــ ڤيينا ــ Europa Verlag ــ 1965 ــ مجلدان. ومن جانبهم، كان على الفرنسيين، والإنجليز، والأمريكيين أن يستجوبوا غالباً حُرّاساً سابقين لأوشويتز، ويحكموا عليهم. ومن المفاجئ أن تخرج، من الكتلة الضخمة لهذه الاستجوابات والمحاكمات، كمية بمثل هذه الهزالة من المعلومات حول المذابح المزعومة في «غرف الغاز». وعلى حدّ علمي فإنه لم تجرِ أبداً الإشارة إلى «اعترافات» أو إلى أية معلومة عن «غرف الغاز» من جانب ليبهنسشل أو باير. والمحاكمة الحقيقية «لغرف الغاز» بأوشويتز كانت ــ وهذا الأمر لن يُقال أبداً بما فيه الكفاية ــ محاكمة المهندسَيْن المعماريين والترديجاكو وفريتز إيرتل في ڤيينا (النمسا)، في عام 1972. وهذه المحاكمة التي أثارها سيمون ويسنتال، وقُدِّمت كقضية مثيرة، بدت سريعاً جداً بصفتها إخفاقاً تاماً للتهمة. فالرجلان اللذان أُخِذَ عليهما أنهما «بنيا، وأصلحا غرف الغاز الضخمة، وأفران حرق الجثث في أوشويتز ــ بيركينو» عَرِفا، حسب الظاهر، كيف يبرهنا كتقنيَّيْن أنهما إذا كانا قد بنيا فعلاً أو عملا على بناء أفران لحرق الجثث، فإنهما لم يجازفا، بالتأكيد، برسم تصاميم «لغرف غاز»، وإنما فقط بتصاميم لغرف باردة كانت مجاورة لهذه الأفران. وقد تمّ إخلاء سبيل المهندسَيْن.

10 ــ - **Kommandant in Auschwitz / Autobiographische Aufzeichnungen von Rudolf Höss**, Eingeleitet und Kommentiert von Martin Broszat, 1958, Verlagstalt Stuttgart.

في الصفحة 166 من هذا الكتاب، وفي مقطع الاعتراف الذي كتبه هوس في تشرين الثاني 1946، توجد الفقرة التالية:

«Eine halbe Stunde nach den Einwurf des Gases Wurdedie Tür geöffnet und die Entlüftungsanlage eingeschaltet. Es Wurde sofort mit dem Herausziehen der leichen begonnen».

وفي الصفحة 126 من الكتاب، في المقطع المؤرخ في شباط 1947، قيل أن الفريق المكلف بإخراج الجثث من «غرف الغاز» كان يقوم بهذا العمل «بلا مبالاة كئيبة»، «كما لو كان الأمر يتعلق بأية مهمة يومية». وافترِض في هوس أن يضيف: «كانوا يأكلون أو يدخنون وهم يَجُرُّون [الجثث]». وبرأي هوس، لم يكونوا يكفُّون، من جهة أخرى، عن الأكل. كانوا يأكلون حين كانوا يستخرجون الجثث خارج الغرف، وينزعون الأسنان الذهبية، ويقصّون الشعر، ويجرّون أحمالهم نحو الحُفر أو نحو الأفران. ويضيف هوس هذا الكلام الفاحش: «في الحُفر كانوا يحافظون على النار، ويسقون [الجثث] بالشحم الذي كان يتراكم، وينبشون في الجبال جثثاً مشتعلة ليسهّلوا وصول الهواء». ولا يقول لنا كيف كان الشحم يفعل لكي لا يشتعل هو نفسه (لم تكن الأجساد **تشوى** بالسيخ، كما لو كان الأمر يتعلق بفراريج، وإنما كانت **تُفَحَّم** في أكوام تُراكم على الأرض أو على المحرقة). ولا يقول لنا كيف كان باستطاعة الناس الاقتراب من هذه المحارق المدهشة ليجمعوا منها سيول الدهن (!)، ولا كيف كان باستطاعتهم النبش في هذه الجبال من الجثث لتسهيل مرور الهواء. إنّ عبثية هذا «السقي المتراكم» («das Uebergiessen des angesammelten Fettes») دفعت المترجم الفرنسي للكتاب، الذي قدّم له مارتن بروزات، لأن يُغْفِل بشكل خفي ترجمة هذه الكلمات الألمانية الخمس.

(Rudolf Höss, **le Commandant d' Auschwitz parle....** ترجمه عن الألمانية: Constantin de Grunwald ــ باريس ــ Julliard ــ 1959 ــ أعيد طبعه في 15 آذار 1970 ــ ص: 212).

11 ــ تمهيداً للمحاكمات المختلفة، المُسمّاة بمحاكمات «نورمبرغ»، جَرَدَ الأمريكيون العديد من الوثائق التقنية المتعلقة بزيكلون ب. ولو كانوا قرؤوا هذه الوثائق بعناية، وتابعوا بحوثهم، كما فعلتُ ذلك أنا بنفسي في بعض المؤلَّفات التقنية التي كانت في حوزة مكتبة الكونغرس في واشنطن، لتبيَّن لهم المجموع الذي لا يُصدَّق من الاستحالات التقنية، الذي احتوته كل الشهادات القائلة بأن الألمان كانوا استعملوا الزيكلون ب

من أجل قتل كائنات بشرية في «غرف غاز». وسأخصص دراسة، في غير هذا المكان، للوثائق الأربع التي تبيد، في رأيي، أسطورة «غرف الغاز». وهذه الوثائق الأربع هي أولاً وثيقتان سجّلهما الأمريكيون لصالح محاكمات نورمبرغ، ثم دراستان تقنيتان وقّعهما جيرهارد بيترز، ويمكن الرجوع إليهما للاطلاع في مكتبة واشنطن. وأُذكّر أن جيرهارد بيترز كان، أثناء الحرب، المدير المؤقت لشركة Degesch (وهي شركة ألمانية تعمل في مجال مكافحة المواد الضارة) التي كانت تُصنّع الزيكلون ب، بشكل خاص. وقد استُدعي جيرهارد بيترز أمام القضاء من قِبل مواطنيه، مرات عدَّة، بعد الحرب. كان يقول بأنه لم يسمع أبداً حديثاً أثناء الحرب عن استعمال زيكلون ب لقتل البشر.

● وثائق نورمبرغ (document NI، أي: Nuremberg, Industrialists) هي:

آ ــ 9098 ــ NI، مسجلة فقط في 25 تموز 1947: كراس بعنوان:

**Acht Vorträge aus dem Arbeitgebiet der DEGESCH**

(Eight lectures on aspects of DEGESCH field of opération / Huit exposés sur le champ d'activités de la DEGESCH)

مطبوع في 1942 لاستعمال خاص. وفي نهاية هذا الكراس، ص: 47، يوجد جدول وصفي لكل من أنواع الغاز الثمانية التي تنتجها الشركة. وفي النقطة V من الوصف نقرأ بالنسبة لزيكلون ب:

«**luftbarkeit**: Wegen starken Haftvermögens des Gases an oberflàchen, erschwert u. langwierig» (Ventilation properties: complicated and long to ventilate since the gaz adheres strongly to surfaces). خصائص التهوية معقدة وتستغرق وقتاً طويلاً، نظراً لأن الغاز يلتصق بقوة بالأسْطُح.

ب ــ 9912 ــ NI، مسجّلة فقط في 21 آب 1947: إعلان عنوانه:

**Richtlinien für die Anwendung von Blausäure (Zyklon) Zur Ungeziefervertilgung (Entwesung)** (توجيهات من أجل

استعمال الحمض البروسي (الزيكلون) من أجل القضاء على الحشرات الطفيلية (التعقيم). هذه الوثيقة لها أهمية أساسية، أفضل من أية وثيقة أخرى، فهي تُظهر إلى أي حدٍ لا يمكن استعمال الزيكلون ب إلاّ من قِبل شخصٍ مُدَرَّب علىٰ ذلك. وأن الزمن المطلوب لكي يقوم المنتَج بالقضاء على الحشرة يتراوح بين 6 ساعات في الطقس الحار، و32 ساعة في الطقس البارد. والمدة الطبيعية هي 16 ساعة وهذه المدة الطويلة يفسرها بدون شك تركيب الزيكلون. فالزيكلون هو من الحمض البروسي أو حمض السيانيدر الذي تمتصُّه ركيزة مَشْطوريت (diatomite). ويتصاعد الغاز ببطء بسبب طبيعة الركيزة. وهذا البطء شديد بحيث لا نفهم كيف أن الألمان يمكنهم اختيار الزيكلون من أجل تصفية جماهير بشرية. وقد كان من الأسهل عليهم كثيراً استعمال حمض السيانيدر بشكله السائل. وكانوا يملكون كميات كبيرة من هذا الحمض في مخابر الـ أ. جـ. فاربن بأوشويتز، حيث كانوا يعملون، بشكل خاص، لتحضير المطاط التركيبي. ومن الوثيقة 9912 ــ NI استقيت المعلومات المتعلقة باستعمال الزيكلون ب من أجل رشٍّ معسكرٍ ما بالغاز، ومدة التهوية (21 ساعة على الأقل...).

- وثائق مكتبة الكونغرس: والأمر يتعلق بدراستين تقنيّتين كتبهما جيرهارد بيترز، ونُشِرتَا كلتاهما في:

**Sammlung chemischer und chemisch - technischer Vorträge,**

الأولى في 1933، في: **Neue Folge Heft 20**، والأخرى في: **Neue Folg Heft 47 a,** في 1942 (مجلة ينشرها فرديناند إينك في شتوتجارت). وهاهو عنوانهما، ورقمهما في مكتبة الكونغرس:

**a)** - «Blausäure Zur Schädlingsbekämpfung», (QDI, S2 n. f., hft 20, 1933).

**b)** - «Die hochwirksamen Gase und Dämpfe in der Schädlingsbekämpfung» (QDI, S2, n. f., hft 47a, 1942).

ـ لنقل عَرَضاً، بأننا سنعجب لكون هذه المجلة، التي طُبعت أثناء الحرب في ألمانيا، وصلت أيضاً أثناء الحرب إلى مكتبة الكونغرس في واشنطن. فعدد المجلة الصادر في عام 1942 سجّل في واشنطن في... 1 نيسان 1944!

12 ـ التشريع الفرنسي المتعلق باستعمال حمض السيانيدر جائر مثله مثل التشريع الألماني. انظر القرار رقم 50 ـ 1290، تاريخ 18 تشرين الأول 1950، الصادر عن وزارة الصحة العامة.

13 ـ المخطط الذي يسمح لنا بإعطاء هذه الأبعاد بالسنتيمتر تقريباً يوجد في أرشيفات متحف الدولة بأوشويتز (متحف Oświecim). ورقم صورة هذا المخطط، هو: 519. Neg، ومخططات الغرفتين 4 و5 هي أكثر أهمية من مخططات الغرفتين 2 و3. وهي تثبت بالفعل أن الغرف الثلاث التي وُصفت تعسفياً بأنها «غرف غاز» كانت غرفاً غير هجومية، مزودة بأبواب ونوافذ عادية. ولا توجد فيها لا أقبية ولا مخازن. والوسيلة الوحيدة أمام أفراد فرق الحماية (S. S) «لإلقاء الزيكلون» في هذه الغرف، وهم «قادمون من الخارج» هي التالية: كان على أفراد فرق الحماية أن يرجون مَنْ سيصبحون ضحاياهم، المكدَّسين بالمئات أو الآلاف في 236,78 متر مربع، التفضل بفتح النوافذ لكي «يلقوا عليهم الزيكلون»، وبعد ذلك، على الضحايا أن يعيدوا إغلاق هذه النوافذ بعناية، ثم أن يمتنعوا عن تحطيم الزجاج إلى أن يأتيهم الموت لاحقاً. ولهذا نفهم حقاً لماذا بدا الشيوعيون البولونيون متكتمون جداً حول هذه المخططات، وفضّلوا التذرع «باعترافات» هوس من دون إعطاء الكثير من الرسوم الطوبوغرافية.

14 ـ هذه الأنقاض المفيدة للغرف يمكن رؤيتها من وراء واجهة زجاجية كبيرة في القاعة الخلفية المخصصة للغرف في جناح المعرض رقم 4.

15 ـ هذه التفاصيل عن أول عملية قتل بالغازات السامة أعطتها الصحيفة البلجيكية **لو سوار** (Le Soir) في 9 شباط 1974. وقد قامت الصحيفة، تحت عنوان: «منذ 50 عاماً»، بإعادة نشر مقال نُشِر فيها، بتاريخ 9 شباط 1924.

16 ــ الملخص الذي أعطيه هنا عن عملية قتل بحمض السيانيدر مستلهم من تحقيقٍ قام به محامٍ أمريكي لمصلحتي لدى ستة سجون إصلاح، ولدى شركة مُصنّعة «لغرف الغاز». والسجون الستة هي التالية: سجن سان كوانتن/ كاليفورنيا، جيفرسون سيتي/ ميسوري، سانتافي/ نيو مكسيكو، رالاي/ نورث كاليفورنيا، بالتيمور/ ماريلاند، فلورنس/ أريزونا. والشركة هي شركة إيتون ميتال براديكتز كومباني في دانفير/ كولورادو. ومن المسلّم به أن هناك متغيرات في أسلوب التنفيذ بين سجن وآخر. وقد حصلت شخصياً على إذن لزيارة إحدى غرف الغاز هذه. وتبين الورقة الإجرائية أن التحضير البسيط للغرفة من أجل تنفيذ عملية قتل يتطلب يومَيْ عمل لعاملَيْن بمعدل ثماني ساعات عمل يومياً لكل منهما. وحين تصبح الغرفة جاهزة، تجري العملية نفسها في 47 لحظة. وهذه الورقة لا تكفي أبداً لتكوين فكرة عن تعقُّد المهام، لأنّ الأمر يتعلق بتعداد بسيط للأعمال اليدوية. لنأخذ مثالاً: كُتِبَتْ آخر تعليمات للأعمال كما يلي: إفراغ الغرفة / رفع الجسد. لكن هذه الكلمات تعني ما يلي: بعد انتظار الوقت النظامي، يجب على الطبيب ومساعدَيْه الاثنين أن يدخلوا إلى الغرفة، وهم يلبسون قناعاً للغاز، وصدرية وقفازات من المطاط، وعلى الطبيب أن يُمَرِّر يده على شعر الميت ليطرد منه جزيئات حمض السيانيدر التي قد تكون بقيت فيه. أما المساعدان فيجب أن يغسلا الجسد برشراش بعناية. وعليهما، بشكل خاص، أن يغسلا داخل الفم، وكل فتحات الجسد. ويجب ألاّ ينسيا غسل ثنية الذراع والركبة بعناية فائقة. والنظرة البسيطة لغرف الغاز الصغيرة هذه، المصنوعة لقتل محكوم واحد تجعل هذه الأمكنة من الحجارة والخشب والجبس، التي تُقدَّم لنا باعتبارها غرفاً قديمة ألمانية للغاز، أمكنة تدعو للسخرية. فإذا كانت غرفة الغاز الأمريكية قد صنعت حصراً من الفولاذ والزجاج، فذلك لسبب خاص بالحسّ السليم، ولسبب تقني بشكل أخص. فبما أن للحمض ميل للالتصاق بالأسطح، وللتغلغل فيها، فإنه يجب تجنب أية مادة قد تكون مساعدة على هذا الالتصاق وهذا التغلغل. وهذا هو السبب الأول. أما السبب الثاني فهو

أن أجهزة التهوية عندما تفرغ الهواء من الغرفة، يكون هناك خطر انبجاس، ومن هنا السماكة الكبيرة للفولاذ والزجاج في الحجرة. ومن البديهي أن باب الفولاذ الثقيل جداً لا يمكن إغلاقه إلاّ بدولاب.

17 ــ اعترف الشيوعيون البولونيون أنفسهم بأن الهدف من الوشم كان جعل عمليات الهرب أكثر صعوبة (وتسهيل توضيح الجهة التي قدم منها الهارب الذي ألقي القبض عليه)، انظر:

**Contribution à l'histoire du KL - Auschwitz** – éditions du museé d'Etat d'oiwiecim ــ 1968 ــ ص: 16 و99.

18 ــ Louis de Jong, **Viertelsjahrshefte für Zeitgeschichte**, Munich, 1969, Heft 1, P. 1-16: «Die Niederlande und Auschwitz».

نتيجة حساسيته تجاه الطابع الخطر لهذا النوع من الإعلانات فسَّر مدير المجلة، هـ. روثفلز، موقفه في مقدمة (Vorbemerkung) تناولت السبب الذي قاده إلى نشر هذه الدراسة. وهذا السبب هو أن السيد لويس دو جونغ لن يكون موضع شك في قيامه بمدح النازية لأنه لم يكن ألمانياً، وأنه ــ بالعكس ــ يُعطي كل الضمانات المأمولة على رصانته، نظراً لكونه مديراً لمعهد رسمي، مثل معهد أمستردام. وتعطي هذه المقدمة فكرة عن الوضع الذي يتواجد فيه المؤرخون الألمان: هناك بعض الحقائق التي لا يستطيعون قولها من دون أن يكونوا موضع شكٍ في كونهم يمدحون النازية. ويجب أن نعلم أيضاً أن السيد لويس دو جونغ سيكون موضع شك بقدرٍ أقل نظراً لأنه من أصل يهودي.

19 ــ كشف دينو أ. بروجيوني وروبير جـ. بواربيه هذه الصور الجوية للجمهور العريض، في مقال بعنوان «The Holocaust Revisited».

(central Intelligence Agency, «Department of commerce, National Technical Information Service, Washington D. C., ST 79 - 10001, 19 pages).

ويعطي المؤلّفان مثالاً مفيداً على العمى. ويحاولان بأي ثمن تكييف ما تظهره لهما الحقيقة المادية لهذه الصور، مع ما يعتقدان معرفته عن حقيقة أوشويتز بفضل ثلاثة مؤلّفات قائلة بالإبادة. هناك تناقض كبير بين الصور والشروحات التي حاولا إعطائها لهذه الصور.

20 ــ تنص المادة 19 من نظام المحكمة العسكرية الدولية: «لن تتقيد المحكمة بالقواعد التقنية المتعلقة بتقديم البيِّنة [...]».

(The Tribunal shall not be bound by technical rules of evidence [...] / Der Gerischtshof ist an beweisregeln nicht gebunden [...]).

وتنص المادة 21: «لن تطلب المحكمة إثبات الوقائع الشائعة وإنما ستأخذ بها كأمر ثابت [...]».

(«The Tribunal shall not require proof of facts of common Knowledge but shall take judicial notice thereof [...]» / «Der Gerichtshof soll nicht Beweis für allgemein bekannte Tatsachen fordern, sondern soll sie von Amts Wegen Zur Kenntnis nehmen [...]».)

21 ــ - **Prison et déportation**, Paris, éditions Spes, 1947, P. 77.

22 ــ «غرفة الغاز» المزعومة في داشو تحمل اليوم العبارة التالية، مكتوبة بخمس لغات (الألمانية ــ الإنجليزية ــ الفرنسية ــ الإيطالية ــ الروسية):
ــ **غرفة غاز** «غرفة دوش» مُموَّهة ــ **لم تُستعمل أبداً**. سألْتُ فرو باربارا ديستل، مديرة متحف داشو، والدكتور غيريس، رئيس اللجنة الدولية في داشو، ومقرها في بروكسل، عمّا سمح لهما بأن يُطلقا صفة «غرفة غاز» على بناء «غير مكتمل»، وتساءلتُ بالفعل كيف يمكن معرفة أن بناءً غير مكتمل يُهيَّأ ليصبح، بعد إكماله، شيئاً لم نره بعد مطلقاً في حياتنا. وأردت أيضاً معرفة ما إذا كان جرى عرض هذا المكان على خبرة تقنية، أو علمية، أو قضائية. والجواب عن هذا السؤال الثاني كان بالنفي. أما على النقطة الأولى فلم أتلقّ جواباً. ألن يكون من حق كل زائر لداشو أن يطلب توضيحات عن المكان؟ ألن يكون من حق كل ألماني أن

يطلب إلى المتهمين دليلاً لدعم اتهامهم الرهيب؟ لأن من قبيل الاتهام الرهيب قول أن هذا الشخص أو ذاك اختلق سلاحاً شيطانياً **بنيَّة** قتل كائنات بشرية في هذا النوع من المسالخ.

23 ــ انظر: «Réflexions sur l'étude de la déportation»، تأليف: جيرمن تيّون، في العدد الخاص بعنوان: «نظام الاعتقال الألماني («Le système concentrationnaire allemand») (1940 ــ 1944) من مجلة: **Revue d' histoire de la Deuxième guerre mondiale** ــ تموز 1954. راجع الصفحات: 16 ــ 17 ــ 20 ــ 21 ــ 24 ــ 26، وخاصة الحاشية 2 من الصفحة 17 ــ والحاشية 2 من الصفحة 18 ــ والحاشية 1 من الصفحة 20.

24 ــ وثيقة نورمبرغ «باريس/ ستوراي» PS – 3870 : تصريحات تحت القسم للشرطي هانس مارسالك. أن الشروط التي اعترف زياريس في ظلِّها، بحسب هذا الشرطي بوجود «غرفة غاز» في موتهاوسن، وبعملها، جديرة بأن تكون موضع تأمل. فهذه الشروط جعلت من الاستجواب مجرد جلسة تعذيب استمرت من ست إلى ثماني ساعات، إلى أن لفظ زياريس أنفاسه. ويقول الشرطي نفسه أنه قاد استجواب القائد خلال ست إلى ثماني ساعات في ليلة 22 إلى 23 أيار 1945، وأن فرانز زياريس كان مصاباً بجرحٍ خطير، وأن ثلاث رصاصات اخترقت جسده، وكان يعلم أنه سيموت. ويمكن أن نرى اليوم في متحف موتهاوسن صورة مأخوذة بالفلاش، وتمثل زياريس وهو ما زال حياً، بينما جلس بالقرب منه معتقلٌ وهو يصغي إليه. وكان هناك أشخاص آخرون في الغرفة بالقرب من سرير المحتضِر. هل كان الجنرال سيبل، قائد الفرقة الحادية عشرة المدرّعة الأمريكية، والطبيب السابق للمعتقلين، المنفي الدكتور كوزينسكي، موجودين ربما هناك، كما يؤكد ذلك الشرطي. إن قبول جنرال فرقة وطبيب محترف المشاركة في جلسة التعذيب هذه، يُعبِّر بإسهاب عن عقلية أولئك الذين يقدِّرون بأن لديهم «نازياً» بين أيديهم: «فالنازي» ليس إنساناً، وإنما هو نوع من حيوان مؤذٍ. ومن الممكن أن نكون متأكدين من أن كل قادة المعسكرات نُظِر إليهم على هذا النحو. ولا يجب الاندهاش «للاعترافات» التي أدلوا بها، أو التي قيل أنهم أدلوا بها.

25 – «Keine Vergasung in Dachau», Par le Dr Martin Broszat, – **Die Zeit**, 19 août 1960, P. 16.

26 – انظر الكتاب الذي ذكرته ، في الحاشية رقم 10. يشرح الدكتور مارتن بروزات في الحاشية رقم 1 من الصفحة 167 لماذا لم يُعطِ التتمة لنص هوسّ. وهو يقول أن هوسّ، في هذه التتمة، يُسلّمنا «معطيات مُحيّرة تماماً» («Völlig abwegige Angaben») يصفها بمعلومات «من غير الممكن إطلاقاً أخذها على محمل الجدّ».

(«müssen diese Mitteilungen als gäuzlich unzuverlässig gelten»).

ويعطي بروزات مثالاً عن هذه الضلالات، لكنه يحرص على اختيار الأقل ضلالاً من بينها. فبعد خمسة عشر عاماً على نشر كتابه، حصل أن البولونيين قدّموا، بدورهم، ما اتُّفق على تسميته بنص اعتراف هوسّ. ولهذا السبب، جرى الاستشفاف، فجأة، بأن «الضلالات» كانت قد تصاعفت من خلال قلم هوسّ. ولتكوين فكرة عن هذا الأمر، يمكن الرجوع إلى المؤلَّف التالي:

**Kl - Auschwitz in den Augen der S. S.** Verlag des Staatlichen Auschwitz - Museums, Cracovie, 1973, PP. 135 - 136.

لقد فَقَد الدكتور بروزات حظوته في أنظار كل مؤرخ رصين، بعد قيامه بنشر «اعتراف هوسّ»، فقد كان عليه، مع شيء ولو قليل من الانتباه والنزاهة، الاستنتاج بأن هذا الاعتراف ــ الذي يُعتبر اتهاماً للذات ــ ليس إلاّ ركاماً من الأمور العبثية والضالّة التي لم يكن ممكناً إملاؤها على هوسّ إلاّ من قِبل سجّانيه البولونيين ــ الستالينيين.

27 – التعبير الذي استعمله الدكتور بروزات هو: «Vor allem»، وهذا التعبير المبهم أملته، كما يبدو لي، الرغبة في عدم إبداء الرأي حول حقيقة «غرف الغاز» التي لم توجد لا في بولونيا، ولا في الرايخ القديم. وهذه هي الحالة بالنسبة لموتهاوسن، الواقع في النمسا، ولستروتهوف، الواقع في الألزاس.

28 – كنتيجة لاحقة لظاهرة معتادة في هذا الشأن، استطاع الدكتور بروزات إعطاء الانطباع بأنه كان يتراجع تقريباً عن تأكيداته الشجاعة في

19 آب 1960. فكتب ــ أو ترك أعضاءً من معهده في ميونيخ يكتبون ــ رسائل أو مقالات يتساءل فيها عمّا إذا تراجع عن عبارات رسالته إلى مجلة **دي زيت**. والحقيقة، أننا إذا نظرنا إلى النصوص عن قرب، لتكوَّن لدينا انطباع بأن الدكتور بروزات قدّم تنازلات شكلية بحتة. وللحكم على الأمر، سنحيل إلى النصوص التالية:

آ ــ جواب الدكتور س. نوللر، في 26 تشرين الأول 1967، إلى بيار جوفروا، الصحفي في مجلة باري ماتش. وهذا الجواب نُشر جزئياً في كتاب بيار سيرج شوموف (ص: 73 ــ 74) الذي أشرت إليه في الحاشية رقم 7.

**ب** ــ مقدمة الدكتور بروزات لدراسة للدكتور إينو أرندت والدكتور ولفغانغ شيفلر ظهرت في مجلة: **Viertelsjahrshefte für Zeitgeschichte** ــ نيسان 1977 ــ بعنوان: «Organisierter Massenmord an Juden in NS - Vernichtungslagern» ــ (ص: 105 ــ 135، مقدمة: ص: 105 ــ 112).

**جـ** ــ ردّ الدكتور إينو براندت، في 225 تشرين الثاني 1977، على الدكتور إيجون جـ. ل. ريدر. وهذا الردّ نُشِر من قِبل Mut - Verlag، كانون الثاني 1979 (العنوان: 3901 Asen dorf en B. R. D.).

**29** ــ حول تريبلينكا، بيلزيك، سوبيبور، شلمنو، انظر:

**NS - Vernichtungslager im Spiegel deutscher Strafprozesse** لـ: أدالبير روكرل (A. Rückerl)، Deutsher Taschenbuch Verlag ــ الطبعة الأصلية في كانون الأول 1977.

**30** ــ «**نظام الاعتقال النازي**» (Le système concentrationnaire nazi) (1933 ــ 1945) ــ أطروحة ــ P. U. F ــ 1968 ــ ص: 541 ــ 544.

**31** ــ هوس عُذِّب. وقد علمنا ذلك من البولونيين أنفسهم، الذين سمحوا له بقول ذلك في اعترافه. ويمكن أن تكون هناك أسباب عِدّة دفعت قاضي التحقيق جان سيهن لأن يسمح له بذلك. بما أنّ هوس أغدق في مدح طيبة سجّانيه في كراكوفيا، فربما أرادوا إعطاءنا الفكرة بأن هوس كان سابقاً قد قال

أشياءً لا قيمة لها في إفاداته المقدمة للبريطانيين، لأنه كان قد تكلم تحت التعذيب، في حين أنه ــ في سجنه في كراكوفيا، هذه المرة ــ كان يُعبِّر بكل حرية. ففي «استعجاله» بالاعتراف بكل شيء للبريطانيين الذين عذَّبوه، ذهب هوس إلى حدّ الكلام عن معسكر «إبادة» في ... «ولزيغ بالقرب من لوبلن». إلاّ أن ولزيغ لم توجد أبداً لا بالقرب من لوبلن، ولا في أي مكان آخر من بولونيا. ومع ذلك فإن هوس ذكر هذا المعسكر الأسطوري في الوثيقة NO – 1210 ، المؤرخة في 14 آذار 1946، ثم في الوثيقة PS – 3868 ، المؤرخة في 5 نيسان 1946، ثم في الوثيقة NI – 034 ، المؤرخة في 20 أيار 1946. وفي «ولزيغ» هذا المحيِّر بشكل مرعب اقترحوا عليه رؤية بيلزيك، وهو أمر عبثي لأن هوس أوضح في الوثيقة PS – 3868 أنه كان هناك «ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة: بلزاكس (كذا)، وتريبلينكا، وولزيغ»

(«Dreiweitere Vernichtungslager in Geweralgouvernment: Belzekx, Treblinka und Wolzek»).

وهذا الحل العبثي **فرضه** «توراة» البحوث القائلة بالإبادة والمتمثل بـ: **الهولوكوست/ بَيِّنَة نورمبرغ** The Holocaust / The Nuremberg Evidence ــ (القسم الأول: وثائق)، نشره ياد ڤاشيم في القدس، ومعهد ييڤو (Yivo) في نيويورك في 1976. وهناك حل آخر أقل قبولاً اقترحه المدعي العام إدالبير روكليرل في الحاشية رقم 5 من الصفحتين 37 ــ 38 من المؤلَّف الذي ذكرته سابقاً في الحاشية رقم 29. فهذا القاضي لم يتردد في قول أن ولزيغ هي.. سوبيبور! إننا قد لا ننتهي من ذكر الضلالات المحتواة في الأوراق التي جعلت العدالة العسكرية البريطانية هوسّ يُوقّع عليها. ولكي لا نأخذ هنا إلاّ مثالاً واحداً آخراً، نشير إلى أن هوس حدَّد في تريبلينكا موقع منشأة للقتل بالغاز بواسطة الشاحنات، ثم حدّد موقعها فيما بعد في كولمهوف! فالإنجليز جعلوه يقول في «تريبلينكا» ( NO – 1210 و PS - 3868 )، بينما جعله البولونيون يقول في «كولمهوف» (NO- 4498 B). إلا أن المسافة ــ بخط مستقيم

بين تريبلينكا، الواقعة إلى الشرق من فرصوفيا، وكولمهوف أو كلمنو ــ سور ــ نير، الواقعة إلى الغرب منها، تبلغ 250 كلم تقريباً. لقد سمح جان سيهن إذاً لسجينه بأن يدلي لنا بإعلانات عن الطريقة التي كان عومل بها قبل أن يستفيد من الضيافة التي يُحسد عليهاكثيراً في سجن كراكوفيا. لقد أساء الإنجليز معاملة هوس بشكل خطير إلى حد كان عليه فيه، كما قال، توقيع محضرٍ لم يكن يعرف محتواه. وبدأ بكتابة هذا الأمر في اعترافه للبولونيين في كراكوفيا (خضعت لمعاملة مؤسفة من جانب شرطة الأمن العسكري البريطاني)، وأضاف: «في ظل حجج دامغة جرى استجوابي الأول. إني أجهل ما يحتويه المحضر، رغم أني وقعت عليه. وتناوب الكحول والسوط كان حقاً **شديداً**، حتى عليَّ». ثم أضاف أيضاً أنه خضع لمعاملة أكثر قسوة من جانب المدعي العام الإنجليزي، وكان برتبة ميجور، بعد أن نُقِل بعد ذلك بأيام عدّة إلى ميندن ــ سور ــ ويزر، حيث المركز الرئيسي للاستجوابات في المنطقة الإنجليزية. وقال أن نظام السجن كان موافقاً لموقف الميجور. فطوال ثلاثة أسابيع لم يتمكن من الاغتسال ومن حلاقة الذقن، وكان عليه الاحتفاظ بالقيود في يده! وحين نقِل إلى نورمبرغ، كانت إقامته في مقرّ التوقيف بمثابة علاج في مستوصف: إقامته مثالية بالمقارنة مع ما كان عَرِفه. لكن الاستجوابات، التي قام بها اليهود حصراً، كانت رهيبة من الناحية النفسانية، لا الجسدية. فالمستجوِبون لم يكونوا يتركون له أي شك حول المصير الذي كان ينتظره، في أوروبا الشرقية خاصة. وبعد نقله إلى بولونيا، عرف من جديد محناً رهيبة، لكنّ المدعي العام ظهر فجأة، وصار هوسّ يُعامل بلطف مفاجئ. وهذه التفاصيل كلها نجدها في الصفحات 145 ــ 147 من «**قائد في أوشويتز**» (انظر الحاشية رقم 10). وما لم يُشرْ هوس إليه، كان نتيجة هذا التعذيب الجسدي والمعنوي الذي خضع له قبل تسليمه للبولونيين. ففي 5 نيسان 1946، أي قبل عشرة أيام من مثوله أمام محكمة نورمبرغ، ابتزوا منه تصريحاً مدهشاً تحت القسم (باللغة الأمريكية: affidavit) وقّع عليه

بالرغم من أنه لم يكن بلغته الأم.. وإنما **بالإنجليزية**. وهذه هي الوثيقة PS – 3868 . وأمام المحكمة، في 15 نيسان 1946، قرأ المدعي العام الأمريكي (المدّعي آمين) نص هذا التصريح، بحضور هوسّ. وترك الكلام الذي وقّع عليه هوس أثراً عميقاً. أما هوس فصفع الجميع ببلادته (كذا). فأجوبته كانت تقتصر في غالبيتها على كلمة «نعم» عندما سأله الكولونيل آمين عمّا إذا كان ما يقرؤه صحيحاً. ووصف بعض المراقبين هذه البلادة «بالفصامية» أو بعبارات قريبة منها. وهؤلاء المراقبون، المهتاجون ضد هوسّ، لم يكونوا يشكّون إلى أي حدٍّ كانت صفة «الفصامية»، التي كانوا يريدونها مهينة، دقيقة، وتعكس حقيقة مرعبة: كان هوسّ في حالة ثانية، كان «رجلان في آن معاً»، ممزقاً، بليد الذهن، مشطوراً إلى اثنين أو تقريباً كذلك: «فصامياً» في الحقيقة، كما يمكن أن يكون عليه أي رجل عُذِّب جسدياً ونفسانياً، وكما كان يتساءل ــ كما قال في اعترافه ــ عمّا كان قام به للتو أمام هذه المحكمة العجيبة. ويجب قراءة نص الحوار بين الكولونيل آمين والمتهم هوسّ في 15 نيسان 1946، في المجلد XI، ص: 425 وما يليها، من محكمة نورمبرغ الكبرى (مراجع الطبعة الفرنسية).

32 ــ حول التعذيبات التي أوقعها الأمريكيون بشكل منهجي على سجنائهم الألمان، ينبغي الرجوع في فهرس كتاب أ. ر. بوتز (**خدعة..**) إلى المراجع المتعلقة بـ: Justice Gordon Simpson، أو القاضي Judge Charles F. Wennersturm. وأوصي أيضاً بقراءة أحد أجمل الكتب التي كتبت أبداً لصالح حقوق الإنسان: « **Manstein, His Campaign and His Trial**» للسيد ريجنالد توماس باجيه (لندن، Collins، 1951)، المزوَّد بمقدمة مدهشة للورد هانكيه. ويشير السير باجيه، في الصفحة 109، إلى أن لجنة التحقيق الأمريكية سمبسون /ڤان رودن/ لورنزن كانت قد أبلغت «من بين أمور أخرى، أن من أصل الـ 139 حالة مدروسة، اكتشفت أن 137 (جندياً وضابطاً ألمانياً) أتلفت خصيُهم للأبد بسبب الضربات التي تلقوها من الفريق الأمريكي للتحقيق في جرائم الحرب».

33 ــ كان الدكتور المهندس دورفيلد المدير المؤقت لمصنع بونا في أوشويتز. وفي الوثيقة NI – 034 جعلوا هوس يقول بأن الدكتور دورفيلد كان على علمٍ بعمليات قتل كائنات بشرية بالغاز في بيركينو، وكان يحدِّث زملاءه عنها. إلاّ أن المعني بالأمر، في الوثيقة NI– 11046 ، يجيب: «آسف لأن أقول أني سمعت للمرة الأولى كلاماً (عن عمليات القتل بالغاز هذه) من خلال الإذاعة أو الصحف. وعليّ قول أن هذا الأمر يشكل علامة إهانة للشعب الألماني. يجب عليّ قول هذا».. انظر أيضاً للوثيقة NI – 9542 بالنسبة لأوتو أمبروز، أو الوثيقة NI – 11631 ، بالنسبة لكورت روزنبوم. فهذان الرجلان، اللذان كانا في موقع يمكنهما من معرفة كل شيء عمّا كان يجري في أوشويتز، يؤكدان لأنهما لم يعرفا شيئاً أبداً عن عمليات القتل بالغاز. كما كانت هناك أيضاً لدى بعض المعتقلين الشجاعة لكتابة أنهم لم يروا أبداً «غرف غاز» في أوشويتز أو في بيركينو، على الرغم من أنهم وجدوا في مكانٍ قريب جداً من الموقع الذي كان يُفترض في هذه «الغرف» أن تتواجد فيه. وهذه هي حالة بنديكت كوتسكي، الاشتراكي الديمقراطي النمساوي من أصل يهودي. فقد عاش سبعة أعوام في معسكر للاعتقال. وماتت أمه في بيركينو في 8 كانون الأول 1944، ولديها من العمر 80 عاماً. وفي كتابه **Teufel et Verdammte** ((Wien, Verlag der Wiener Volksbuchhandlung) ــ 1948) كتب، في الصفحة 136، أنه لم يَرَ شخصياً «غرف الغاز» هذه في المعسكر. لكن هذا لم يمنعه، من جهة أخرى، من القيام فيما بعد بنوع من الوصف لما لم يره. وقد قام بذلك بناء على شهادة أولئك «الذين رأوها».

34 ــ أشير هنا إلى بعض المتهمين في محاكمة فرانكفورت (1963 ــ 1965)، وهي المحاكمة التي زعم هيرمان لنغبين أنه قدّم عرضاً لها في: **Der Auschwitz - Prozess** ، المؤلَّف الذي أشرت إليه في الحاشية رقم 9. وقد استعمل فرانز هوفمان تعبير «ساعد على دفع». ومن الغريب أنه استعمله بصيغة الجمع: «Haben Wir [...] mitgeschoben» (ص: 241). وكان هانس ستارك قد ساعد ممرضاً

على سكب الغاز من فتحة في سقف «غرفة الغاز»، لكن ستارك كان مبهماً وغامضاً جداً، وقد أعطى الرئيس الانطباع بأنه كان يتلو نصاً (ص: 439).

35 ــ ينبغي إيلاء أكبر قدر من الانتباه إلى المجلد الثاني والأربعين، والأخير، من محاضر محاكمة نورمبرغ الكبرى. فهذا المجلد يُفتتح بالوثيقة الطويلة جداً (153 صفحة) رقم PS – 862 . وهي عبارة عن خلاصة أَعَدّها الكولونيل البريطاني نيف (Neave)، الذي كان مكلفاً بتلخيص عدد كبير من التحقيقات التي أُجريت في معسكرات سجناء الحلفاء. ويُستنتج منها ما استُنتج أيضاً من الوثيقة « Politische leiter – 54 » (ص: 348): أعلن الـ 26674 **من القادة السياسيين** السابقين المستَجوبين أنهم سمعوا، للمرة الأولى، حديثاً عن إبادة لليهود في المعسكرات المسمّاة «بمعسكرات الإبادة»، بعد الاستسلام في أيار 1945 فقط.

36 ــ في مراسلة خاصة، حدثني الأستاذ روبير سيرفاتيوس، الذي كان محامياً في محاكمة نورمبرغ الكبرى (1945 ــ 1946)، ومدافعاً عن أدولف إيخمان في «محاكمة القدس» (1961) عن عمليات «مزعومة للقتل بالغاز» وعن «أشخاص مزعومين قتلوا بالغاز» («Derbehaupteten Vergasung» ــ رسالة مؤرخة في 22 شباط 1975، «Der in Auschwitz angeblich vergasten Personen» ــ رسالة، سابقة، مؤرخة في 21 حزيران 1974). ويلخص المحامي الشهير في جملة واحدة السبب الذي لأجله يتجنب المحامون الألمان إثارة مسألة وجود «غرف الغاز» أمام المحكمة. فقد قال: «يبدو أن قضية وجود غرف الغاز انتقلت في نظر المدافعين إلى المحل الأخير بالنسبة لمسألة مشاركة موكّليهم في عمليات القتل المزعومة بالغاز». لا يمكن معرفة قول ما هو أفضل. وقد أوضح المحامي بدقة، علاوة على ذلك، ورداً على أحد أسئلتي عن إيخمان، أن هذا الأخير كان أعلن (لمن؟ الرسالة غير واضحة في هذه النقطة) أنه لم يرَ أبداً غرفة غاز، وليس لديه معرفة بتقارير في موضوعها. وتثبت المحاضر الملخَّصَة للمحاضرة ( التي يمكن الرجوع

للاطلاع عليها بلغات عدّة في مركز التوثيق اليهودي بباريس) أن إيخمان لم يعرف ظاهرياً أي شيء عن «غرف الغاز»، باستثناء ما كان قد قرأه عنها في السجن في «اعتراف» هوس (انظر جلسة 19نيسان 1946، الأرقام من JI – MJ إلى RM 02).

37 ـ كان على ألبير نود، المضطرب بشكل جليّ، أن يدلي بهذا التصريح المرتجل للتلفزة الفرنسية (أنتين 2 ـ برنامج «زيت على النار» (L' huile sur le feu) لفيليب بوڤار ـ تشرين الأول 1976.

38 ـ هذا المحامي المجامل كان الأستاذ أنطون رينرز، من فرانكفورت.

39 –
- Raul HILBERG: **The Destruction of the European Jews.** Chicago – Quadrangle Books, 1961 et 1967.
- Gerald REITLINGER: **The Final Solution.** 2e éd. London – Vallentine, Mitchell, 1968.
- H. G. Adler: **Der Verwaltete Mensch**, Tübingen, J. C. B. Mohr (Paul Siebeck), 1974.
- Hermann LANGBEIN: **Menschen in auschwitz**, Wien. Europa Verlag, 1974.
- Olga WORMSER – MIGOT: **Le système concentrationnaire nazi** (1933 – 1945). Paris, P. U. F. 1968. **Le Mémorial de la déportation des Juifs de France.** Par Serge Klarsfeld (B. P. 137 – 16, 75763 Paris Cedex 16), 1978.

40 ـ مقتطف مما يُسَمِّيها الألمان («Bormann Vermercke»). وقد نشر القسم الأخير من هذه « Bormann Vermercke» في فرنسا تحت عنوان: «**الوصية السياسية لهتلر**» ـ رواية فرنسية وتقديم لـ: فرانسوا جينو، باريس ـ Arthème Fayard ـ 1959 ـ ص: 71 ـ 72.

41 ـ «Dass sie deshalb [ihre Konfession] Verfolgt Worden Waren. Wie ich glaubte. liess manchmal meine Abneigung gegenüber

ungünstigen Aeusserungen über sie fast Zum Abscheu Werden» (**Mein Kampf**, München, Zentralverlag der N. S. D. A. P.,1942, P. 55). «Die grossen Meister der lüge» (معلّمو الكذب الكبار) عبارة لشوبنهاور، أخذها عنه هتلر، ووردت في الصفحة 253 من «**كفاحي**».

42 ــ تصريح منشور في صحيفة **Jewish Chronicle**، في 8 أيلول 1939، ص: 1.

43 ــ **Daily Express**، 24 آذار 1933، ص: 1.

44 – «Nach Beendigung des Krieges werde er [Hitler] sich rigoros auf den Standpunkt stellen, dass er Stadt für Stadt zusammenschlage, Wenn nicht die Drecksjuden rauskämen und nach Madagaskar oder einem sonstigen jüdischen Nationalstaat abwanderten» (Henry Picker, **Hitlers Tischgespräche im Führerhaupt quartier, 1941 - 1942**, H. Von Percy Ernst Schramm [...], Stuttgart, 1963, P. 471).

45 ــ نصوص ووقائع غزيرة تثبت أن السلطات الألمانية كانت تحظّر وتقمع هذه التجاوزات، حتى عندما يمكن أن يكون ضحاياها من اليهود. ولن أذكر هنا إلاّ نصاً واحداً وواقعتين. النص هو للجنرال فون روك، مؤرخ في 29 تموز 1944، حول الجبهة الروسية (الوثيقة 1620 ــ NOKW). أما الواقعتان فذُكِرتا في الوثيقة 501 ــ okw. الأولى: في ربيع 1944، قتل ملازم، في بودابست، يهودية كانت تريد الإبلاغ عنه لأنه كان قد قام، مع عدد من رجاله بسرقة شيء من أموالها. وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية الألمانية بالموت وتمّ تنفيذ الحكم به رمياً بالرصاص، في حين حكمت على عدد من رجاله، من جنود وضباط صفّ، بعقوبات سجن طويلة. أما الواقعة الثانية فهي: أن المحكمة العسكرية الألمانية، بالقرب من روستوف (الاتحاد السوفييتي)، حكمت بالموت على جنديين لقيامهما بقتل الساكن اليهودي الوحيد في قرية (وقد نُفِّذ الحكم بهما؟). ونجد هذان المثالان وكثير من وقائع

أخرى من النوع نفسه في المجلد الثاني والأربعين والأخير، من محاضر محاكمة نورمبرغ الكبرى. وللأسف، فإن هذا المجلد لقي شبه تجاهل من الجميع. وقد تجاهله، بشكل خاص، القضاة الذين يسمحون لأنفسهم بالتذرُّع «بما جرى تثبيته في نورمبرغ»، لكنهم لا يحرصون كفاية على إعادة قراءة الوثائق التي ثبّتها المنتصرون حين يكون عليهم الحكم على المهزومين. أما المؤرخ فيمكنه بقدرٍ أقل السماح لنفسه بهذه الخفّة، خصوصاً عندما يعلن بأن هؤلاء المنتصرين قاموا بعملين خطيرين جداً يتّسمان بعدم الاستقامة:

1 ــ أنهم قاموا هم أنفسهم بفرز الوثائق من دون أن يقرنوا بها الدفاع.

2 ــ أنهم قاموا بفرز هذا الفرز بنشرهم الاثنين والأربعين مجلداً من دون أن يضموا إليها الأوراق المقدمة من قِبل الدفاع.

ومن الواجب أن نعلم أن الحلفاء ما زالوا حتى الآن، وبعد مضي نحو 35 عاماً على الحرب، يحفظون في السر كمية مدهشة من الوثائق التي يمكن التفكير أنهم أخذوا منها كل ما كان يمكن، بنظرهم، أن يُثقل على ألمانيا. هل نتخيّل الحجم الضخم «لجرائم الحرب» التي يمكن «لمحكمة عسكرية دولية»، مؤلَّفة من **المهزومين** الذين عليهم الحكم على **المنتصرين عليهم**، أن تعمل على الحكم عليها، بمثل هذه الطرق؟ لكني، من أجل العودة ثانيةً إلى مسألة «التجاوزات» أو «جرائم الحرب»، أسمح لنفسي بالإيحاء بفكرة أن الجيش الألماني، وبخاصة جهاز فرق الحماية (S. S) كان قاسياً بشكل مخيف سواء في المعركة أم في التدابير البوليسية المتخذة بحق حرب الأنصار، لكنه كان، بطريقة ما، أقل إثارة للخوف بالنسبة للمدنيين غير المقاتلين، من كثير من الجيوش الأخرى. فكلما كان الجيش منتظماً ومنضبطاً كلما كان على السكان المدنيين، من حيث المبدأ، أن يخافوا بقدرٍ أقل من تجاوزاته بكل أنواعها. فمن وجهة النظر هذه، تكون عصابات الأنصار مخيفة للسكان المدنيين، بصفة شبه دائمة، على الرغم من التعاطف الذي يمكن الشعور به مع القضية التي يُفترض أنها تدافع عنها.

46 ــ وصف هذا التسليم باسم «عملية الجرّ تحت السفينة» ( Opération Keelhaul). انظر: .. **The Hoax** لأرتور ر. بوتز، ص: 248 ــ 249. وتعبير «Keelhaul» بليغ، فهذا الفعل الإنجليزي يعني: «فرض عقاب القَعْر الرطب على شخصٍ ما، أو جرِّه من أحد جانبي السفينة إلى جانبها الآخر بجعله يمرُّ من تحت عارضة قعرها».

47 ــ أشير إلى أن التمييز العرقي ضد السود كان، في الوقت نفسه، ومن دون أي عذر عسكري، يعيث فساداً لدى حلفائنا الأمريكيين والجنوب أفريقيين (بينما كان يجري أحياناً التشهير به في الصحف الفرنسية «المتعاونة» مع ألمانيا).

48 (*)ــ خطاب أُلقي في بوسن، في 16 تشرين الأول 1943، ص: 169 من **خطب سرية** (Discours secrets) لهنريخ هيملر، باريس ــ Gallimard ــ 1978. والأمر يتعلق بالترجمة الفرنسية لـ:

**Geheimreden 1933 bis 1945 und andere Ansprachen**, Propyläen Verlag, 1974. هذا المؤلَّف ينبغي استعماله بحذر، وخاصة ترجمته إلى الفرنسية.

49 ــ نص «مشروع مدغشقر» معروف قليلاً. ونجده في مركز التوثيق اليهودي المعاصر في باريس. وهو يحمل الرقم 172 من بوليصة إسرائيل (المقر العام، المكتب السادس). ويبدو أن هذه الوثيقة لم تخرج إلى النور إلاّ في عام 1961 بمناسبة محاكمة أدولف إيخمان. وهي تتألف من رسالة وجّهها ثيودور دانيكر، في 15 آب 1940، إلى سكرتير دار المفوضية رادماخر، ومن التقرير نفسه الذي يبدو، من جهة أخرى، أنه مسودة غير مُوقّعة، وغير مؤرَخة. ورقمها في المركز بباريس هو: DXII – 172 .

50 ــ انظر رسالة رادماخر إلى السفير بيلفيلد، بتاريخ 10 شباط 1942 (الوثيقة: NG – 5770 ).

51 ــ «الحل الإجمالي» («Gesamtlösung») و«الحل النهائي» («Endlösung») هما التعبيران اللذان تبادل غورنغ استعمالهما في رسالته الشهيرة، المؤرخة

(*) لم يُحدَّد موقع الحاشية (48) في متن النسخة الفرنسية للكتاب (المترجم).

في 31 تموز 1941، والموجّهة إلى ر. هيدريخ. وقد استفاض القائلون بالإبادة، بلا نتيجة، في الحديث عن هذه الرسالة الموجزة (الوثائق: PS – 710 )، وخصوصاً عن هاتين الكلمتين لغورنغ. وتأملوا بالأحرى في هذا النص الذي قام بعض منهم، على الأقل، ببتره بوقاحة من النصف الأول من جملته الأولى التي كان يوجد فيها تفسير واضح وجليّ للمعنى الذي يجب إعطاؤه لهاتين الكلمتين. فهاتان الكلمتان، اللتان لا تشكلان إلاّ كلمة واحدة، تتضمنان «الهجرة أو الجلاء» ( «Auswanderung oder Evakuierung»). وقد سمح جيرالد ريتلنجر لنفسه بذكر الرسالة القصيرة حرفياً واضعاً في بداية النص ثلاث نقاط وقوف. فالقارئ ريتلنجر يرى إذاً أن النص ينقصه بداية الجملة التي سيقرؤها، ويقوده هذا للتفكير بأنه ليس هناك بالتأكيد شيء هام في المقطع الناقص. إن من الصعب التصرف بعدم استقامة أكثر مما تصرف ريتلنجر! (انظر: Gerald Reitlinger, **Die Endlösung** «The Final Solution», traduction de l' anglais en allemand, Par J. W. Brügel, 4e édition revue et corrigeé, Berlin, colloquium Verlag, 1961, P. 92).

وسنجد النص، غير المبتور، في الصفحة 32 من المؤلّف البارز لويلهلم ستاغليش:

- Wilhelm Stäglich: **Der Auschwitz Mythos**. Legende oder Wirklichkeit? Tübingen, Grabert Verlag, 1979.

وويلهلم ستاغليش قاضٍ سابق في هامبورغ تعرّض لاضطهاد متواصل منذ 1973 بسبب قناعاته الداعية لمراجعة التاريخ.

52 ــ نجد إشارة إلى هذه الولادات في «روزنامة» **دفاتر أوشويتز** (Cahiers d' Auschwitz)، التي نشرها متحف الدولة في أوشويتز، وخصوصاً في الدفترين 7 و8. وقد كان الألمان يمسكون سجلاً بكل الولادات، بما فيها ولادات اليهود. كانوا يمسكون سجلاً بالجميع. وهذه العملية الجراحية، على سبيل المثال، كانت مدونة مع اسم المعتَقَل، ورقم تسجيله، وموضوع العملية ونتيجتها (باللغة اللاتينية) وتاريخها، وتوقيع الطبيب الجرّاح. وفي أفران حرق الجثث، كان انتزاع سن

ذهبية من جثة يشكل موضوعاً لتقرير شامل. وهذه النقطة الأخيرة، لوحدها، تجعل من أسطورة المذابح الجماهيرية المصحوبة بانتزاع الأسنان الذهبية على مقياس شبه صناعي، أسطورة عبثية.

53 ــ قمت شخصياً بتحقيق دقيق حول عمليات القتل بلا محاكمة التي قام بها رجال المقاومة في منطقة صغيرة من فرنسا. وفوجئت بملاحظة أن جماعات الغجر كانت دفعت ضريبة ثقيلة من الأموات، ليس بفعل الألمان، وإنما بفعل رجال المقاومة. وهذا التحقيق من غير الممكن حالياً نشره في فرنسا.

54 ــ حول وجود مدرسة للبنائين، انظر، على سبيل المثال، شهادة فرانز هوفمان في كتاب هيرمان لنغبين: **Der Auschwitz - Prozess**، ص: 236. وحول فرق المتدربين، انظر شهادة المعتقل كورت بوسنر في الوثيقة NI – 9808 .

55 ــ - Georges Wellers: **L' Étoile jaune à L' heure de Vichy. De Drancy à Auschwitz,** Paris, 1973, PP. V. 4, 5ct 7.

56 ــ كانت المسافة بين درانسي وأوشويتز (1250 كلم) تُقْطَع عموماً، في يومين.

57 ــ لا يمكنني إلاّ أن أُحيل هنا إلى حالات: موريس باربديش، بول راسّينييه، مانفرد رودر، تياس كريستوفرسن، ويلهلم ستاغليش، جـ. جـ. بروغ (يهودي)، هلموت ديوالد، إيدو والندي، أرتور ر. بوتز، وإلى حالتي. ولا ينقص شيء: سجن، عنف جسدي، غرامات، حرائق إجرامية، أعمال مهنية مُحَطَّمة، قرارات قضاء لا تُصدَّق، وشايات بحتة، منفى إلزامي. لم توجد أية رابطة للدفاع عن حرية التعبير، لم يرفع ولو فريق واحد من الكُتَّاب أقل احتجاج ضد الطرق المذهلة المتخذة من قِبل مجموعة سبرنجر تجاه داڤيد إيرڤينغ، أو تجاه الأستاذ الجامعي هلموت ديوالد. وفي هذه المباراة في التدابير الاضطهادية، تأتي ألمانيا ــ بلا منازع ــ في المقدمة، وفرنسا، في المرتبة الثانية. أما جنوب إفريقيا فليست بعيدة عنهما.

58 ــ هذا القرار مُؤرَّخ في 17 أيار 1979 (Bundesprüfstelle für jugendgefährdende schriften, Entscheidung Nr. 2765). كان المدعي العام ادالبير روكرل هو الخبير المختار. وهذا الأخير كان الَحكَم والخصم لأنه كان قد كرّس حياته، وعدداً من مؤلَّفاته للدفاع عن الأطروحة (الأطروحة القائلة بالإبادة) التي يعتبرها أرتور ر. بوتز، وأنا نفسي كذلك، أطروحة خاطئة. ويتألف نص الحكم من 55 صفحة. وسيبدو بدون شك بعد سنوات عِدّة كصرحٍ من عدم الاختصاص التاريخي. أما رئيس المحكمة فكان رودولف ستيفن. والبروفسور كونراد جنتزيخ يُمثِّل الفن، والكاتب برنهارد أوهسام، الأدب، وغنتر رولان، الهيئة التدريسية، والأسقف الدكتور هرمان، الكنائس...

59 ــ كانت هذه حالتي في ليون، في 29 كانون الثاني 1978، في الندوة الوطنية حول «كنائس ومسيحيي فرنسا في الحرب العالمية الثانية».

60 ــ من بين الـ 42 مجلداً المتضمنة محاضر محاكمة نورمبرغ الكبرى (المبتورة)، انظر المجلد 3 ــ ص: 574 ــ 575 من الطبعة الفرنسية، واقرأ الوثيقة PS – 2738 (تصريح تحت القسم لـ: و. هوتل).

61 ــ الصفحات: 120 ــ 122، 125، 128، 136، 141، 149 و157. تحت عنوان: «ناحوم غولدمان: باسم إسرائيل». يقول غولدمان أن هذه التعويضات الضخمة «تشكل ابتكاراً استثنائياً في مادة القانون الدولي». وقد كانت مخالفة للدستور الألماني. لقد أملى شروطه على اديناور، في عام 1950. وحصل على 80 مليار مارك ألماني، أي 10 إلى 14 ضعف المبلغ المأمول في البداية. وقال: «من دون التعويضات الألمانية [...] ما كان لإسرائيل نصف بنيتها التحتية الحالية (1978): فكل القطارات في إسرائيل ألمانية، والسفن ألمانية، وكذلك الكهرباء، وقسم كبير من الصناعة... وهذا من دون الحديث عن الإعانات المالية الفردية المدفوعة للباقين على قيد الحياة [...]. وفي بعض السنوات، كانت مبالغ الأموال التي تلقتها إسرائيل من ألمانيا تتجاوز مقدار ما جمعته لها اليهودية العالمية ــ مضاعفة مرتين أو ثلاث مرّات». ودافع الضريبة الألماني الشاب في عام 1979، الذي لا علاقة له بحرب 1939 ــ 1945، يدفع بالطبع حصته.